الحوار العظيم

محاكاة متقطعة في التجربة الإنسانية

معتز نادر

في عنف الذات وفلسفة القتل :

في الواقع وفي حقيقة الأمر

نحن نستمتع باطنياً بنوعية العنف التي تشعرنا بالإشباع حينما لا نجرؤ على إرتكابه ونعلل رفضنا له بأننا سلميون وإنسانيون

وهنا تكمن المفارقة

فمن جهة لا نقبل بوصفنا بشرٌ نجنح نحو العنف طالما يفعله الأخرون نيابةً عنّا

ومن جهة أخرى نغرق بتقييم الحروب والإجرام اللذين بأي لحظة ممكن أن ننضم إليهما طوعاً أو قصراً في الوقت الذي ينظر فيه البسطاء من العامة للنخبة المثقفة على أنهم بعيدين عن إرتكاب الأذية فيما يصدّق الأشخاص النخبة ذلك من خلال شعورهم بالأهمية المبالغ بها وتطير قلوبهم فرحاً وابتهاجاً بحروب تنشب من أجل قناعاتهم ويضيقون كمداً وغيظاً لأن أنصارهم يموتون بهذه الحروب

هذه هي حقيقة الإنسان الهش الغير قادر على مواجهة نفسه

حقيقة الإنسان المتمركزة حول عجزه البعد عن العنف وعدم الإعتراف بانخراطه به على اعتبار أنه جزء من الذاكرة النفسية للإنسان

والطامة الكبرى تكمن بأن الحضارة الإنسانية عبر عمرها القصير لا تتسم بالشجاعة أو القدرة على مواجهة الذات بقدر رغبتها بتفريغ العنف المتفاقم بشكلٍ خاص عندما يتحرك التاريخ لصالح طرف آخر فتسلك الجموع في بادئ الأمر وبرعاية فردية مميزة وشديدة الإصرار طريق الدماء والفوضى

بالنسبة لي كفرد غير مؤثر بالمعنى البراغماتي الإقتصادي ويريد بذات الوقت أن يفكر ويصل إلى نتائج فإني أرى أنه على الرغم من التقدم التقني الظاهر وازدهار الإكتشافات الفضائية فإن هذا لا يعطي الحق بإدعاء دور الأخلاق ذات الطابع الصوري الباهت عديم الفعالية الذي لا طائل منه طالما يعيش مئات الملايين من البشر في قلب الفقر المدقع و ارتفاع معدلات الجريمة وتفاقم التلوث البيئي بينما يستمر النظام الدولي بتكريس عزلته عندما يستمر دون هوادة بالاختبار

الدائم لطريقة تفكيره البيروقراطية فيما العالم يأن هنا وهناك ، أنا هنا لا أدافع عن الفقراء بل إني أكره الفقر لأنه خبيث وسيء النية ويزرع الأذية في نفوس الناس

وإذا إعتبرنا أن تطورالقِيَم مرتبط بتمكين الوعي من إدراكه ضرورة إشباع الحاجات الأساسية للإنسان كأساس للإنطلاق لما هو أرقى فعلينا إذاً أن نعترف بأن الوعي الإنساني سيبقى هشٌ طالما ثمة فاقة عالمية وإحساس أممي بالإضطهاد والتهميش لدى عدد لا يحصى من الأفراد في كافة أنحاء العالم

ربما هناك نتيجة عمومية وبديهية مفادها أن مضمون النوع البشري مجزء لمليارات الأعداد كما هو حقيقة الحال وبالتالي من الصعب إنتاج فكر سلمي شامل بغرض ترك هذه المليارات تحيا بسلام وبمستوى مقبول من الكرامة الإنسانية لكن الهدف هنا ليس الوصول للسلم كهدف أساسي أولي وإنما ما تنشده الفكرة هو الإرتقاء بإشكالية العدالة الإقتصادية المتعلقة مشكلتها أساسا بمبدأ عسكري واضح وهو الرغبة المضنية ببسط النفوذ والسيطرة على الثروات ومنابع النفط

النظام الإقتصادي العالمي لا يقوم بسرقة الثروات وبسط النفوذ بشكل مباشر وإنما ما يفعله هو أنه يستفيد من إدارة المنشآت والمساحات والثروات واستثمارها بطريقة تكرّس مفهوم السرقة والظلم بمستوى يفوق مفهوم عملية السرقة والإحتيال المباشرين وذلك بالتأكيد يحتاج لدهاء إقتصادي خبيث وشديد التقنية والطموح

فمثلا الدور الذي لعبته فرنسا في إفريقيا سابقاً عبر سيطرتها على كميات كبيرة من ذهب الدول التي احتلتها يعدّ نموذج لما نتطرق إليه

على العنصر البشري أن يقتنع ذات يوم بمبدأ العدالة الإقتصادية بمعنى أوسع من الذي يجري الآن والتي تجعلانه ينأى بفكره العسكري الفائض وبالتالي الإقتناع بالدور العبثي السلبي الذي يلعبه سباق التسلّح في تحجيم عقم التناقض الإيدلوجي المتجذر في هذا العالم وسعيه الحثيث في ممارسة معادلة الخطورة المتكافئة وهذا ما يحدث بين روسيا وأمريكا مثلاً .

من الممكن أن أبدو كيساريٌ راديكالي في كثير من المواطن وأتفهم تماما وجهة النظر هذه من الآخرين تجاهي وبالطبع ليست تهمة أن يكون المرء ذا أفكار يسارية بل أقول أنه من غير الطبيعي أن لا يكون الشاعر أو الكاتب يساريٍ فطري أنه قّدر بالنسبة للشخصية الفنية وتبدو كشيءٍ غريزي بالنسبة إليه فمن غير المقبول أن يتبنى شاعر أو فنان أفكار مُحافظة

لا أهتم باليسار كحركة سياسية وإذا ما تقاطعت أفكاري بالصدفة مع اليسار الراديكالي فهذا لا يضايقني على الإطلاق

ثم أن العالم مليء بالأزمات والمآسي والمعاناة وعليه يجب دائما التمسك بأفكار مناهضة لتلك الأزمات .

إن على الجنس البشري أن يمتلك عقله في لحظة ما

حتى لو بدا الطرح السابق نظريٌّ قياساً بالناحية العملية المطلوب السعي إليها ومع ذلك أرى إن الإصرار في التأكيد عليها ربما يؤدي لنتيجة ما

في لحظة ما ....في زمن ما

*

أنظر حولي وأُدرك بأن المعاناة هي حدثٌ جديّ بارز في هذا العالم

أما بالنسبة للمرء فسيكون مستعد على نحو قصري بأن يغير كل سلوكه إبعاداً للمأساة التي قد تصيبه أو تصيب أحد أحبائه المقربين ومن هنا يُفتح باب المقايضة بين المرء وقناعاته ...

إنك على إستعداد لفعل المستحيل كي تنقذ ابنتك الوحيدة المريضة التي ربما تموت بعد أيام قليلة .

بعد شهرين :

نحن البشر -مشاريع فاشلة لكائنات كاملة– وهذه ليست نقيصة أو سلخ ذات إذ أن حقيقة الجمال تكمن بالأشياء الغير كاملة و التي تحتاج لمسات إضافية

أما العَوَز الفني الذي يتشوق إليه عصرنا بدون شغفِ حقيقي هو ذاك الرخص الذي يزدريه الإنسان فكرياً ويعيشه عمليا إنه التشويش وهشاشة الترويج والإعلام الرخيص...

*

لقد تعب العالم من عجزه تحقيق الموهبة الطفولية فالتجأ للموهبة القاتلة . موهبة إقتصاد السوق والحروب النفطية الهائلة وتسليع الإنسان

*

بالنسبة لي أعشق تفاصيل الحياة وهمومها الخفية لذلك أرى نفسي مَلك ذكريات وهذا يقودني إلى تفكير غريب متعلق بتجاربي الكثيرة مع بائعات الهوى تلك الأمكنة التي تعرّي أعماقي هناك حيث الاختلاف النفسي لطبيعة التعثّر الأُسري

كنوز الفشل الاقتصادي للحكومات المستهترة والعوّز المادي المهين يعيش هناك

نعم لا تستغربوا ففي تلك الأمكنة تنسج الخيوط الأولى للسياسات العالمية الكبرى..

*

في هذا الوقت أنظر بمنتهى الغرابة والنفور لقانون سنّه البرلمان الفرنسي يغرّم من خلاله زبائن بائعات الهوى للتخفيف من ظاهرة الدعارة

ذلك السلوك البيروقراطي الفوقي لحل تلك الظاهرة من قبل المصوتين على القانون مثير للعجب إذ لماذا يظن المشرّع للقانون وبمجرد كونه لا يرتاد بيوت الدعارة بأن له الحق بمعاقبة المنخرطين بهذا الأمر مع أنه من الممكن أن يفكر هو نفسه في الذهاب لتلك الأماكن في لحظة من اللحظات أو أن يرمي بثقله في زاوية نائية غير مكشوفة

إذا كان مقياس الاحترام وحقوق المرأة عند أولئك المشرعون يمنحهم الحق بالتحرش القانوني على أناس يتصرفون وفقاً لحريتهم في الوقت الذي يُظهرون فيه أي المشرّعين عَجزهم على فرض سلطتهم الحكومية على مافيات تلك الظاهرة فبئساً لتلك الرؤية وذلك المقياس القانوني!

أعارض بكل تأكيد الفاقة أو العّوز اللذين يؤديان إلى إنخراط المرآة بمجال الدعارة وهذا ينتشر بكثرة في المجتمعات النامية .

لكن كونك كمشرّع لا ترتاد تلك الأماكن هذا لا يعني بالضرورة بأنك تدافع عن المرآة

لأن السوق السوداء للدعارة في فرنسا اليوم هي التي تهدد فتيات الهوى وتنتهك حقوقهن وتجعلهن عرضة للإبتزاز المادي والتحرش الفعلي عندما ينتظرن زبائنهم في الشوارع تحت المطر وقد رأيت ذلك بنفسي في أحد شوارع باريس وكان منظراً مهين .

إسبوع :

أعرف أن عليّ أن أكون حسّاساً وصادقاً مع مشاعري إلى حد بعيد وأعرف أني ماكر خجول صغير بل وسبق أن تسببت في أذية أشخاصٌ من قبل

عيناي تبحث في كل الاتجاهات عن فرصة خاصة لمعرفة المجهول ولأني لست ملوّث إجتماعيّا أستطيع أن أصل لإستنتاجات تسندني وتمدني بالصبر في لحظات معينة ...

بعد ساعات :

ها آنذا أشعر بالإحباط مجدداً ؟ نحن الكائنات أنانيون جداً ولكن هذا طبيعي! هذا القدر لا مفر منه *إذ ما البديل ؟ !أن لا نكون كذلك ؟

كيف تتشكل الأنانية الأممية المنسجمة ذات البُعد الفني *الأخلاقي *المسُتقل جداً - الأنانية الأممية المنسجمة ذات البُعد الفني و ...إلخ !تبدو جملة إستعراضية غير مفهومة وشديدة العمومية من قِبلي

إنها تتشكل من خلال التطرق العادي لجوهر أنفسنا وللمحطمين واحتضارهم المهين والذي تسبب به الذكاء الإقتصادي المؤسساتي البشع والغير مدروس وتلك ليست عاطفة شائبة فإولئك ممن لم تتسن لهم الفرصة كي يقولوا كلمتهم أو يعبروا عن ذواتهم وقد لا يكونوا قليلو الحيلة قلة وحسب فالكثير منهم ليسوا ضعفاء وأنت تشعر بذلك عندما تحاورهم

إولئك ممن في أعماقهم موهبة لا تعّبر عن نفسها بحكم الواقع

إولئك يجب أن يَخلِقوا النصيب لأنفسهم عندما يعززوا هجومهم على حساب الانتهازيين

الآن تقفز لذهني حقيقة أؤمن بها بأن كل المتصالحين مع أنفسهم من الشخصيات العامة الاجتماعية ثمة جمال وقوة لا يرونها في العالم لأنهم متصالحون وحسب مع درجتهم الثقافية وموقعهم الإجتماعي و ربما مع شهرتهم المرئية هُم تقريباً عكس هالة الروعة المحاطين بها أنهم يعيشون في العالم مع خجلهم من اضطرابهم الخفي وجوعهم لشهوة الشهرة ورعبهم من أن يظهروا على حقيقتهم فيحاولون المحافظة على صورتهم بشكل مستميت هؤلاء هم غالبية المطربين والممثلين ومبدعي المنوعات المرئية وبطبيعة الحال الكثير من البشر

أنا أعرف بأني مضطرب وقلق لكن لن أسمح للقشور أن تخدعني وتلوث براءتي كإنسان يحاول الوصول لإنسانيته .

*

.. امم الشهرة

قلة من المشاهير أناس عميقون أو أصحاب خامة إذ أن مفهوم الشهرة بلباسه الحالي ضرب من الزيف والإحتيال ممزوج بحالة تعكس الاستهانة بالعقل عبر أداة رخيصة ومغرية يستخدمها العصر وهي الصورة و الترويج الإعلامي المُسلي وحسب

بالحقيقة لا أحب أن أكون معروفاً على شاكلة الطريقة السائدة بل أحب أن أكون معروفاً من خلال قدرتي في الوصول لذاتية الأخرين وهذا يتنافى مع رغبة الوصول للشهرة السطحية الفارغة من التأثير

أن أكون مرئياً ومشهوراً هذا يجب ان يعني بالضرورة أن أكون غيّرتُ شيئاً في هذا العالم مهما كان ضئيلاً

لن أكون معروفاً على نطاق واسع طوال حياتي أدرك ذلك والحقيقة أنه لن يعنيني كثيراً عندما أنال الاعتراف الذي أبتغيه -وهو ذاك الاعتراف الذي من المفترض أن أستحقه فعلياً وفقاً لقوة التأثير وليس بسبب قوة الإعلام وصَدَقة المرئيات

ستكتشف أخيرا أن الشهرة مزيفة وبأنها مغرية لدرجة كبيرة لكنها لا تساوي شيء عندما تكتشف نفسك وترضى عنها وتعرف أعماقها هذا هو الإلهام الحقيقي

. إذا لم أجد ذاتي فلن أجد من ينقذها أبدا

بعد لحظات :

الملل من لحظات الفراغ وعدم القدرة على تحملها هي من تجعل الناس يسرعون للزواج بحثاً عن الآمان والديمومة للخلاص من القلق الذي يتسبب به مرور الزمن هذا أمر بديهي ولكن الخلاص من الخوف ؟ !!يحتاج لعمل كبير

في داخلي قلق قديم وغائر

بالنسبة لي هذا الدائم يجعلني غير مستعجل على أي شيء يتعلق بالمستقبل باستثناء الرغبة في الترحال

منذ البداية لم أحبذ الطريق السهل في الحياة ذاك الطريق المعبد الغير مكلف

فلطالما فضلت الإستمتاع باللحظات بعد المعاناة لأني أجدها أكثر لذة بالمحصلة هذا لا يمثل اختيار وإنما توجه نفسي معين

ومع ذلك ومع إني صرت أشعر بألم كبير جراء الوحدة *وأقصد هنا وبكل ما سأذكره لاحقاً عن مفهوم الوحدة في هذا الكتاب هو المفهوم المرتبط بالعزلة وعدم الرغبة بالحياة الإجتماعية التقليدية

إلا أنني أعتبر نفسي شخصٌ محظوظ إلى حد ما ذلك لأني تنقلت بين بلدان عدة وعشت تجارب خاصة ساهمت في بناء شخصيتي وأيضا محظوظ لأني مسكت قلماً وكتبت أشياء أحبها وأجدها لطيفة جعلتني أدرك بأن اللحظات البسيطة الهادئة والممتعة هي سعادة حقيقية من الممكن الحصول عليها كل يوم

الناس تستهتر باللحظات البسيطة الممتعة لأن لديهم صورة رمزية طوبواية عن السعادة فالكثيرون يظنون أنهم بعيدين جداً عن جوهر السعادة بوصفها تمثّل حالة خالصة من الصفاء وهذا وَهمٌ كبير يستند عليه الكثير من المحفزين عبر قنوات التواصل الإجتماعي

السعادة هي أن تحصل ذاتي على ما يعجبها ويرضيها

أظن أنه يكمن ِقدر كبير من السعادة في البساطة لكن التفاهم مع تلك البساطة ليس بالأمر الهيّن طريقة العلاقة مع تلك البساطة يحتاج لحساسية عالية من قبل الفرد لأنها تحتاج إلى مزيج من الطيبة والذكاء العاطفي.

بعد إسبوع :

ما سرّ العلاقة النفسية بين الفنانين والكتّاب مع أمهاتهم إذ أن الكثير من مفكري ومبدعي القلم كانت لديهم علاقة نوعية مع أمهاتهم يقول أطباء النفس أنها عُقدة ؟ في كل الأحوال ليس مهماً ما هي ماهيتها إلا أنها شديدة الروعة والفضول والتأمل

لم أكن أجالس أمي كثيراً ولكن دائماً أفكر بها وصورة جبهتها وعنقها المتعبان لا يفارقان مخيلتي ولا أعلم حتى اللحظة لماذا جبهتها بالذات أمي كانت مثل العديد من النساء المُرَكَّبات هي عميقة وفنية مع حُزنها وتأملاتها وعادية في

سلوكها اليومي الظاهر وإخلاصها لإرثها القروي وخلف ذلك يُترك إصرار المرأة الرهيب

ثمة أغنية لمطرب قديم مشهور كانت تجعلها تبكى وعندما أسألها أو يسألها أحد إخوتي عن سبب بكائها عندما تسمع أغاني ذلك المغني فإنها لا تجيب توفيت ولم نعرف ما السر وراء دموعها تلك ولوعاشت خمسين عام أخرى لم نكن لنعرف سر دموعها كانت ترفض أن يتبرع أحد لكليتيها المتوقفتا عن العمل كانت تعتبره تصرّفاً إنتهازياً -العيش على حساب حياة الآخرين لا تجده من حقها على الرغم من عذابها الطويل ليس لأنها أمي لكن بصراحة كنت أتفاجئ بأن مُجرد إمراة قروية بسيطة تفكر بهذا القدر من النُبل

من الجمال أن يكون المرء بهذه البساطة وبهذه الطيبة الذكية نعم الذكاء أن نعرف بأن الطيبة قيمة عظيمة في الدنيا وليست مجد هراء لغوي إعلامي تترجمه لحظة معينة وحسب فيتم تسليط الضوء عليها

الخير الإبداعي :

أنا واحد من الناس الذين كانوا ومازالوا يؤمنون بأن –الخيرالإبداعي الفني هو القادر الوحيد على مقارعة حركة الوجود ومقاومة الفراغ والوقت الضائع وهو الخير الذي لديه غاية بعيدة غير مرحلية وغير مؤقتة

والإبداع بهذا المعنى بوصفه مَخرجاً للفراغ هو القادر فعليّا على مقاومة الأزمة فمن الشجاعة أن نقوم بفعل الخير بينما نعلم أن ليس ثمة مقابل لذلك ولكن من النبل أن نصر على فعله فيما لا نزال نُدرك غياب المقابل إذ أن من السذاجة أن نكون خيريين دون معرفة السبب

من وجهة نظري ليس كل إنسان يستحق الخير لا أعتقد أن الخير سيكون مناسباً لأي شخص في العالم إلا للمستعدين على فهم قيمته أما البقية فيحتاجون للصدمة يحتاجون لمساعدة أنفسهم وأن يكفّوا عن الجهل الذي هم فيه ليس كل إنسان يستحق الخير ولكن كل إنسان يستحق البيئة الخصبة الصحية التي تجعله يجد خيره الخاص وأن يعبر عن نفسه كإنسان وكمشروع

وهناك جزئية الصدق أيضاً فغالبية المجتمعات تتربى على ثوب المجاملة والمسايرة وبالتالي ليس ثمة فسحة للصدق أو الوقفة مع الذات في بقية تفاصيل الحياة فدائماً ثمة فسحة للكذب وتحوير الكلام أو المبالغة في التعبير والشرح عبر إجابات غير واضحة أو كلام ضبابي وكثيرٍ ما نجد ذلك في المجتمعات العربية من أجل ذلك فإننا نسمع دائما جملة إنه كاذب أو إنه يبالغ حتى على الإنترنت)غوغول نفسه (نرى معلومات باللغة العربية تكون خاطئة أو غير دقيقة

و في أوروبا الناس لا يختلفون كثيرا في التعبير عن المنطق الإجتماعي إذا ما إستثنيا ثوب التحضر والدبلوماسية اللذين يحكمان طبيعة المجتمع هناك فالشعوب تشبه بعضها في كل مكان إذ تختلف وسائل التعبير لكن الأرضية النفسية تبقى واحدة فالناس دائما يحتاجون للحماية والإلتصاق ببعضهم

الشخص الواضح والمباشر لا يُعتبر النموذج الدارج ليس لهذا الزمن التقني وحسب

بل يبدو أنه لا يصلح لأي زمن محتمل وفق الترتيب النفسي القائم للكائن البشري

من أجل ذلك فإن التاريخ والفن يكرسان دائماً النموذج الخلاّق النادر الوجود كمثال فوقي من الصعب الوصول إليه لكن من الممكن دائما التأمل والتمني لمحاكاة فكرته بوصفها فكرة حالمة ولذيذة تساعد بجعل الحياة أكثر طاقة وأمل

.

*

لطالما فكرت في ظاهرة الكذب

لماذا البشر يكذبون؟ لماذا نكذب؟

!هل بسبب الخوف ؟ أم الخجل ؟

أنا أكره الكذب حتى لو اضطررت للجوء إليه في قليل من الأحيان لأنه تبرير للضعف والهزيمة

العذر الوحيد المُقنع للكذب أن يكون لإنقاذ شخص بريء من أذية أكيدة ولكن أيضاً الادعاء الدائم بالصدق يحمل في طياته كذباً مبطّن لأن للكذب أشكال عديدة ومتنوعة .

*

خاطرة :

إن أكثر ما يلفت النظر في قراءة الأدب العربي القديم وما رافقه من ثقافة شعرية وأدبية التحمت بالتحولات السياسية الاجتماعية هو افتقاره في الكثير منه للعمق الذي يجعلك تفكر لأنه أدب سطحي وظريف ومسلي لكنه ليس الأدب الذي تقول عنه إنه سيفجر ثقافة ذات كفاءة أكيدة أما الأصوات المميزة الموهوبة عن حق فتبقى أصوات تصرخ في الخواء في وجه العفن المتراكم ليخرج صدىً فخم وبديع لصوتها ثم يختفي الصدى رويداً رويداً و بسلام محبط ومخيب للآمال .

****

جميل من وجهة نظر معينة أن أشعر بأني أتحكم بقدري إلى حد ما ولكني أيضاً سأشعر بالقرف والاشمئزاز من الثبات المعرفي عندما يكون لديّ النهم كي أتعلم كل يوم أشياء جديدة ويتملكني إحساس عميق باللاجدوى ويظل عزائي أني أرى بينما أمشي كل الأشياء تتحرك أمامي دفعة واحدة -الريح والسيارات والحيوانات الصغيرة ووجوه البشر الآخاذة ياله من عزاء جميل فعلاً .

حُلم :

كل الناس بدون إستثناء تَحلم وتتخيل .

ودائماً أتخيل نفسي قائداً صغير على قوم لا يتعدى تعدادهم الآلاف يبدو هذا حلم عظيم - هناك في البعيد في أقاصي الأرض حيث ثمة أناس بعيدين تماماً عن حركة الحياة العصرية وعن التجمعات المتحضرة

... أناس بريّون خَام لم يدخل أي تأثير حضاري مادي عليهم

ثم أفكر أنه لا يليق بي أن أكون قائداً لأني أعد نفسي كائن دفاعي ولا أملك عقلية الهجوم المباشر لذلك سأكتفي بأن أكون مؤثراً في حياة إولئك القوم

إولئك الناس الذي أحب هم من بيئة خصبة نقية تماماً لا يعرفون شيئاً إلا بذل ما يقدرون عليه ولأنهم كذلك يُعجبون بك ويهدونك للمحبة وبدورك تأتي أنت لتمنحهم لوناً جديداً ومحترما وبعد فترة تغادرهم بعد أن تُترك في النفوس أثرٍ شفاف وتغدو شيئا مهماً بالنسبة إليهم

تلك حكاية طفولية جميلة ولكنها ليست سخيفة بالنسبة لي فهي جدية طالما تدفعني للتفكير بأشياء وتساعدني دائما على المقاومة ..

ربما يتحول الحلم إلى حقيقة -ستكون أعظم تجربة لي لو تحققت

بالنهاية لا أشعر بأني لا أفهم تناقضي بين الحلم والواقع لأن الواقع جزء من الحُلم والحُلم جزء من الواقع وكلاهما منبعهما الإنسان وكل ما يصدر عن الإنسان هو بالضرورة شكل من أشكال الواقع

و النقطة تكمن بأن هناك نوعاً من المقايضة أو التناقض بين ما أفكر به فعلاً وبين لغتي الجسدية السريعة الرياضية المضطربة .

بعد لحظات :

في نفسي شعور مزيج بين الإضطهاد البريء والعزلة والقلق وشعور متنوع من الهَيَمان

...إن هذه الحياة ترسانة من الألم اللذيذ

دائما ما يقفز إلى ذهني صراخ المتألمين أو قصص لأناس وعائلات ماتوا بطرق فظيعة كالحرق وما شابه ، هذا حدث في بلادي لكنه ليس وحده السبب إن تلك المشاهد كانت تراودني في السابق

الآن بينما أكتب أشعر بالغصة والضيق من هذا الأمر وأدرك أن لا علاقة للأمر بحس الرهافة أو الرقّة بقدر ماهو جزء من العواصف النفسية لدي ففي السابق كنت أشعر بضيق أكبر على الرغم مما تعيشه البلاد هذه الأيام من قتل ودمار وتنكيل على خلفية ثورة شعبية تحولت لما يشبح حرب مسلحة شاملة

.يبدو عندما تتحول مخاوفنا إلى حقيقة يخف وطأة نتائجها على أنفسنا

لطالما حلمت أن أكون متمرداً وهذا أحد أحلامي التي تحققت نسبياً مع إني لست ثوريٌ بشكل ممنهج لكني سأظل أفتخرٌ لكوني قمت ذات يوم بنشاط ثوري تسبب باعتقالي لقرابة أربع أشهر أمضيت شهرين منهما في قبو أرضي لدى جهاز يتبع للأمن السياسي بدمشق وبقيت 35 يوم في زنزانة انفرادية لا تتجاوز المترين وكنت مطمّش العينين على الدوام أثناء التحقيق معي وهذا ليس بالشيء الكثير قياساً لما حصل لاحقا من تنكيل وتعذيب وموت تحت التعذيب بحق المنتفضين وتم إسناد إتهامات عديدة لنا مثل النيل من هيبة الدولة وتعكير الصفاء بين عناصر الأمة وهاتين تُهمتين ثابتتين في ملفي ثم أُتهمنا شفهيّاً بالتواصل مع جهات خارجية تريد قلب نظام الحكم وأيضا التحريض على قلب نظام الحكم ثم التهمة الأخف نسبيّاً مقارنة بالتهم الأخرى وهي إهانة شخص رئيس الدولة

حدث ذلك عندما كتبت مع رفيق آخر على جدران دمشق عبارات تطالب بإسقاط النظام الديكتاتوري الحاكم وقبلها كنت مع نفس الصديق منكبّين على كتابة مناشير كنّا نوزعها على مدار أشهر في مرافق دمشق ومؤسساتها التعليمية وفي المصارف العقارية

ولسوء الحظ تم إلقاء القبض علينا بينما كنا نقوم بكتابة تلك العبارات على الجدران فتم إلقاء القبض على صديقي أولا ثم بنفس الليلة في منتصف الليل قاموا بمداهمة منزلي وتحطيمه وألقوا القبض علي بطريقة مرعبة عبر كمين نُصب لي بواسطة سيارة أجرة تضم أكثر من ستة من عناصر الأمن المسلحين

كنتُ أسمع صوت أسلحتهم من تحت درج الطابق الأرضي الذي كنتُ مختبئٌ به وكان ذلك في 31 /1 /2011

أي قبل اندلاع الإحتجاجات بشكلها الجماهيري المعروف بنحو شهر ونصف منتصف آذار من سنة 2011

حتى أن ضابط الأمن عند التحقيق معي وقتها قال لي متفاجئاً في إحدى المرات بأنه لا يوجد في كافة فروع دمشق الأمنية من قام بتلك الأعمال أو أو كان مُتهماً بها بإستثنائي وصديقي وأذيع خبر إعتقالنا على التلفاز المحلي بوصفنا مُخربين مُندسين دون ذِكر أسمائنا أو نشر صورة لوجهينا وقد أخبرني والدي بذلك بوقت لاحق .

أعتقد اليوم أن الثورة لا تقوم بغاية إظهار جنسية المرء السياسية بمظهر أفضل وإنما محاولة خلق إنسان جديد فالثورة حُلم وستظل كذلك

والهالة الثورية هي طاقة متنقلة يجب عليها اختيار مكان آخر ما إن تشعل فتيل التغيير في مكان ما

إذا كان مقدّراً ألّا نختار جنسية أوطاننا فعلى النزعة الثورية ألا تختار وطننا لها

والوطنية من الناحية التاريخية هي مصطلح تُتغذى بها الطبقات المسحوقة في كافة المجتمعات من قبل العقليات المثقفة المستبدة

أما الوطنية في الوطن العربي أو في عديد بلدان العالم الثالث فهي الفكرة التي تكرّس فكرة الإخصاء والعبودية والقمع إلى أقصى حد ..

أستطيع القول في النهاية بأني أصدّق وأؤمن بأن ثمة أفراد يستحقون أن تقوم لأجلهم ثورة

الثورة ستكون مجدية إذا قامت من أجل شخص يستحق أن يكون في مكان آخر.

فعلى سبيل المثال عرفت شبانٍ وصبايا من سوريا ومصر كانوا يستحقون أن تحدث إنتفاضة في بلادهم لقد كانوا أشخاصاً حقيقيون ويستحقون الأفضل ...

عزلة فكرة الخلود:

الخلود هو لغز الفكر الإنساني رفقة الموت فنزعة الإنسان النفسية نحو البقاء تجعله يصنع المستحيل فبالأعمال الخالدة يهزم الإنسان فكرة الموت

وأعتقد من وجهة نظر غريبة وشخصية أن لا أحد يؤمن فعلياً بعالم الثواب والعقاب ولا حتى المتدينين الأكثر إيماناً بالآخرة)الجنة والنار (أشعر بذلك وأحسه بالأخص حينما أتحدث إلى الأشخاص المؤمنين البسطاء

هم مثل أي إنسان يطمح بالخلود ولكن بطريقتهم فما عساهم يفعلوا إذا لم يمتلكوا القدرة على التغيير بينما هم عازمون على ترك بصمة في الحياة لا مناص عليهم أن يُبدعوا حتى في ممارسة طقوس العبادة عليهم أن يكونوا شيئاً ولن يكونوا شيئاً إذا إقتنعوا بأنهم زائلين والحل بالنسبة لهم هو التشبث بفكرة حالمة وآمنة ولذيذة هم متعلقون جداً بفكرة الإنجاب والخاتمة المقدسة

لنلق نظرة سنجد أن غالبية الأشخاص الأكثر تديّناً هم من المساكين وقليلو الحيلة ومن الأشخاص الذي خيبت الدنيا أملهم أوممن تعرضوا لأحداث لم يجدوا مبررٍ كاف لها

ولكن أيضا بالمقابل كلنا يتمسك بحلمه وبفسحة يهفو للوصول إليها فجميعنا نسعى طوال حياتنا حتى نصل أخيراً إلى حيث نتمنى

ذات مرة قالت لي إحداهن يجب أن أعبد الله وأصلي له كي أُكافئ بالدخول إلى الجنة ألا يكفيني ما لاقيته من عذاب في هذه الحياة - كانت أرملة محطّمة ومقهورة ويختزن قلبها طيبة جميلة دُمر منزلها في عز الحرب هناك في سوريا وأُنتشل زوجها من تحت الأنقاض

فكرة الخلود معزولة تماما لأنها تمثّل الموت الذي هو حقيقة لا مراء فيه بديهيّاً وعضويّا فناء الجسد بعد الموت إنما هو الشيء الواقعي والخالد

*

أنا لا أهدف بشكل مُلِح بأن أجعل شخصاً مؤمناً يغدو ملحداً ذلك لأني أرى الإعتقاد بفكرة الإله أو نفيها تبدو حدسية حسيّة تلقائية أكثر من كونها فكرية

اليوم وبعد مرور السنين أحاول ألا أخوض بمثل هذه الأحاديث المتعلقة بالإيمان اللاهوتي مع أني أحب أن يعرف الآخر بأن المكافأة السماوية مجرد هراء ولكن ليس من خلال رأيي الشخصي بالموضوع أو من خلال الإقتناع المنبعث من الشعور بخسارة الأشياء وسوء الحظ الخاصين بالشخص نفسه وإنما عبر بالاقتناع التلقائي المنسجم مع التجربة الحسية والفكرية المتراكمة والتي منبعها الحدس بالنسبة لي

الملحد الفعلي هو من يجب أن تكتنز الطيبة العميقة في داخله أكثر من الشر ذلك لأن رفض فكرة الإله الديني هي مدخل لرفض الظلم بشكل واعي وممنهج وبالتالي يتم التعامل بصدق وحساسية مع مسألة الطيبة والرحمة بعيداً عن الإسقاط الغيبي الخائف

إذ عندما يتشكل إدراك عميق لدى المرء بأن ليس ثمة قوة سماوية فوقية تتحكم بمشاعره عندئذ سيهترئ التساؤل حول فاعلية الثواب والعقاب وبالتالي تسقط أزمة الشعور بالذنب التي تتبناها المشاعر الدينية الأبوية في كثير من الأحيان

إن سبب الظاهرة الدينية إنما هو القلق العميق من النهاية المرتبطة بجحيم الوحدة وبالتالي البحث عن أفضل خلاص نفسي آمن يقي من الضغظ الذي يخلفه العبء الدنيوي ذلك لأن ذاتية الإنسان لا تقضّل أن تحسم صراعها بشأن زوالها فجاءت الأفكار الدينية لتتبنى رغبة الإنسان بالخلود الشخصي

أعود لأقول بالمحصلة بأن الجميع يسعى نحو خلاصه الأخير على أفضل شكل ممكن وليس فقط المتدينين التقليديين إذ كل فرد منّا يسعى نحو حلمه الخلاص

كل فرد يتمنى الرحيل إلى حيث يتمنى و إلى حيث ينتمي في أعمق اعماقه

بصراحة ولأكون أميناً

أنا لا أحترم الفكر الديني لدى المؤمنين لكن أحاول أن أفهمه وأن أقبله كما هو مثلما أحاول فهم نفسي

كاذب من يقول أنه يحترم فكر لا يؤمن به ولا يُصدقه وهذا ينطبق بطبيعة الحال على نظرة المتدينين لغير المتدينين فالكثير من المتدينين المنفتحين يحاولون تقبّل النقيض منهم على أساس أن كل مرء حُرٌ بذاته

إن الغرض الأهم من الألق الفكري للإنسان المشغول بأشياء الحياة يكمن في الفهم بأن الإقتراب من ذاتية إنسان يَحيا في داخله سرٌّ ما أمراً غاية بالأهمية والصعوبة وتلك النماذج قليلة بطبيعة الحال وذلك يتم من خلال قوة الطرح وليس عبرالمجاملة والمحاباة

كما أني أرى ليس هناك إمرء ملحد في كل لحظة أو مؤمن في كل لحظة فالإنسان كائن متصارع ومعقّد ويعبّر عن خليط عجيب من المشاعر والتناقضات ففي بعض الأوقات يتصرف الملحد بشكل غير مباشر بمنطق إيماني وكذلك المؤمن يتصرف في ظروف محددة وبشكل غير مباشر بمنطق علماني أو براغماتي إن جاز التعبير

في نهاية المطاف أنا أهتم بالآخر ليس من أجله وحسب بل كي أشعر بأهميتي أكثر وبحضوري ككائن حي

في تلك الحالة لن يكون الفرض الإيدلوجي هو الهدف الجوهري من بناء العلاقة بين الأشخاص بقدر السعي الحثيث لاختبار المعرفة الكامنة بهوية الكائن الآخر إذ بالنتيجة أريد أن أستمتع بهدوء الصباح والتفكير بالأشياء الجميلة دون أن أتعرض لأي مضايقة بصرف النظر من أين تأتي هذه المضايقة سواء من متدين أو غيره لا يهم

إني أميل نحو التفكير بالجذور أي بالجذور النفسية التي تختلف عني وأحاول أن أميل بنظرتي المختلفة نحو الشيء الذي يجنح نحو القاعدة الهشة الغير متماسكة حيث ثمة قلق ، جوع ، رهبة ، وبالتالي الإنطلاق نحو الآخرين عبر التفكير بخلطة النبتة الأولى سيجعل شكل العقائد الجاهزة مجرد إطار سيتآكل ويصبح باهتاً وسيتهاوى بالتقادم الزمني الجديد الذي هو – الوعي اللحظي الحر الإبداعي * *.

*

إن احتكاك الأفكار التي تؤدي للتصادم الجسدي المدمّر في بعض الأحيان والذي لا مفر منه كالحروب مثلاً يُعد أمر مفهوم ضمن سياقه التاريخي تبعاً للغريزة

البشرية ونزعة التهديم الساكنة في الطبيعة الجينية للبشر بغية تحسين نوعية التطور الهادفة لتحسين نوعية الحياة لاحقاً ومع ذلك من غير الصائب منح الدعم المطلق والدائم للفكر الفلسفي والإقتصادي السياسي المتفوق التصفوي في قناعته الضمنية المتجذرة في اعتبار الأشخاص ذوي الإمكانيات المتواضعة عالة على الكوكب لأن في تلك الحالة ستظهر الفلسفة المفرطة بنظرتها الكسلى تلك بكونها عالة على السلم العالمي الهش أصولاً

هل يريد مؤيدو الفكر الانتقائي المتفوق أن يُرمى الأشخاص محدودو الذكاء في عرض البحر بينما هم قابعون في حجراتهم يكتبون ويتخيلون ؟!!!

إن حَركة التاريخ توحي وتؤكد قدوم الترهّل والحاجة الدائمة للتبدّل وتغيير جلد الحياة وهذا لا يمنح الحق لمفكري وسياسيي الدرجة الأولى وأنصارهم وفقاً للتأييد الكامن في قرارة أنفسهم النظر للجزء الكبير من البشر ذوي الحضور الغير لافت بوصفهم كائنات منحطّة لا طائل من وجودها

سيكون من الخسّة مثلاً تأييد تصفية البشر لمجرد أن طريقة تفكيري ترى أن هذا الأمر مفيد للتاريخ ويعزز قناعتي بدور الحياة هؤلاء هم الطغاة

إذا كان على الفكر صاحب إرادة القوة والرؤية الأمنية النظر بإيجابية شديدة لتلك الرؤية السالفة فسيظل ذاك الفكر يحتفظ في أي ظرفٍ ومكان بذلك الاعتقاد الأمني الذي منبعه الحاجة المفرطة للأمان لأنه سيبقى يختار على الدوام ودون توقف من بين النخبة المنتقاة أناس أقل ذكاء وإشراق كي يسقطوا تحت مقصلة زَهوه الفكري

إن حضور الإستهانة النفسية لدى أصحاب المواهب المشعة النقية تجاه الأقل كفاءة من الغير مدركين لحجم تلك المواهب أمر مفهوم ولا أتعارض معه لكن هذا لا يعني أن وجود الأخير ليس بذي فائدة طالما يجعلني أشعر بأهمية موهبتي فهو السبب الرئيسي الذي يجعلني أجد نفسي متفوقاً لذلك من الغدر والنكران أن أقرر في دائرة نفسي بأن لا فائدة لوجوده

وإذا كان المفكر الممتاز صاحب الموهبة العظيمة يبتغي أن يذهب بعيدا بإستغلال ذلك الشعور بالأهمية ولا يريد أن يُرهق نفسه في محاولة البحث بالأشخاص المنسيين الذي يعتبرهم عالة على الكوكب بطبيعته الفيزيائية ذات

الأربعة ونصف مليار سنة والذي تجعل من المستقبل البشري بأكمله يبدو أشبه بمصير سطحي تافه قياساً بتاريخه المليارى - أي الكوكب - فعلى ذلك الفيلسوف عندها أن يمتلك الشجاعة الفكرية الأخلاقية كي يقرر التنحي إذا سقطت رؤيته النوعية لا أن يطلب فناء الطرف الآخر

أَلِأَن العالم مازال يقبع في دوامة القتل والفساد فلأن الفكر الإنزوائي المتفلسف الآمن ذاك قد ساهم بهذا

واقع كفاءة الفكر المتفوق وروعته لن يُفلحا دوماً في تقديم إحداثيات دقيقة لموعد حدوث المفاجأت الطوبغرافية لدى الطبيعة الغير آبهة بسمو العقل البشري

*

من المبكر أن يُنجز الوعي المفترض نموذج التعايش بهيئته الواعية الحرة إلا بمرور سنوات وسنوات لأن ذلك لن يكون خياراً أو توجهاً فكرياً بل سيكون قدراً ضمنياً مهدت له إنجازات المبدعين والمفكريين الموهوبين في كل العالم

*

لسنا خياليين إذا تملكنا الطموح بالسلام الحقيقي لأنه وبكل بساطة الخيارات ليست كثيرة للبحث عن العيش النرجسي الغير مؤذي أنا أشعر بالحماس والأهمية عندما أرى الإمتنان في عينَي شخص ما لأني ساعدته أو أبعدت عنه الأذية أو سهّلت عليه أمر أعتقد أنه عندما تصنع خيراً مع فتى صغير أو مراهق فإن ذلك سيبقى في نفسه للأبد بشكلٍ أو بآخر

. حينما يستهزء المرء بالمشاعر البسيطة لن يَهز أعماقه ما هو أعظم منها

التأثير بالآخرين لا يعني أن أجعل الأشخاص يحبونني أو يعجبون بي بل أن تنجح التلقائية النقية المفترض وجودها داخلي من جعل الأشخاص العاديين أكثر حساسية من ذي قبل وجعلهم متفاعلين مع أنفسهم أكثر .

. هذا الحديث لا ينتهي مهما تطور الفكر والعمل الإنساني

هذا الحديث سيظل موجوداً طالما هناك محطّمٌ أو خائب واحد في العالم طالما هناك وغد أو شرير متمرس ، جبروت الفلسفة جاء ليعالج الإشكاليات الفكرية في محاولة بنائها وصياغتها من جديد بطريقة منطقية لكن سعيها الخلاق نحو مكامن الحقيقة ؟ !أهمل دفع الإنسان نحو الملاحظة البريئة للأشياء .

*****

..... مرة أخرى

الإنسان يشعر أنه بحاجة إلى من يأتمر بأمره كي لا يشعر بالإنهاك من وحدته

ذلك لأنه يعرف أنه جسد صغير بوجه الكون الواسع وبالتالي البقاء وحيداً حتى النهاية أمر شبه مستحيل وغاية في الصعوبة فيلجأ المرء لأشياء كثيرة كي لا ينهكه شعور الوحدة واللآمان ومن الأشياء التي يلجأ إليها بحثاُ عن الحماية تأتي - العبادة في المقدمة الأمر الآمن والأكثر نرجسية وإنزواء

بالرغم من أن فكرة العبادة مقابل النعيم مقايضة هشّة بمجملها ولكن الإنسان ليس غبيّاً لكنه قلق ويحتاج للحماية بشكل مضني ويحتاج أيضاً إلى وَهم يساعده على الاستمرار أما الأمر الذي يشترطه الوهم ولا يتنازل عنه أبداً هو أن يصدّق الإنسان وبكل جوارحه صَدَقَة الوَهم وأن يسلَم بها وبذلك ينجو إلى أن يموت

طقوس العبادة غريبة حقاً وهي بعيدة عني تماماً ولكني أفهم حاجة بعض الناس الاعتقاد بقدرة الإله المخلص فالإنسان الذي لم يحصل على ذرة سعادة أو بهجة واضحة أو تَميّز سيكون من الصعب عليه الاعتقاد الدائم بأنه سيظل تعيساً وهذا محال بالنسبة له إذاً يجب من وجهة نظره أن يكون ثمة فسحة متأخرة للنعيم وسينالها يومٌ ما إن طاقة الاستيعاب لديه لن تتقبل أن فكرة العدل السماوي إكذوبة فالدنيا بالنسبة له تتغير مثل أي شيء في الطبيعة وكذلك الإله الشرير يذهب ليحل محله إله خيّر وطيب القلب ومستجيب

من الوهلة الأولى الإنسان الممتلئ محبة يبدو أكثر تصديقاً لمبدأ العناية الإلهية ذلك لأنه يتأثر كثيراً بالفراق عكس الشخص الرافض الغير مضطر لانتظار أحد ولا يكن عاطفة موجهة لأحد بعينه والعكس ما يجب أن يكون عليه الحال أي الإنسان الذي يحيطه الحب من كل جانب سيتعلق بالحياة لكن يجب أن يكتفي بهذا التعلق ويعي يقيناً ان هذا التعلق له نهاية

الشخص الوحيد حقيقةً ليس الذي لا يعاشر أحداً وإنما الذي لا يستطيع أن يحب أحداً .

في سياق الحديث ومن باب التفكير بصوت عالٍ أعتقد أن الأنبياء -إستنادا للكتب الدينية الرئيسة كالإنجيل والتوراة والقرآن وتصوراتها وما يُحاك حولها من إستنتاجات وتوقعات - كانوا يعانون من مشاعر وحدة عميقة ذاهبة للتفاقم وإرهاقهم من تلك المشاعر ربما كان السبب والدافع الأساسي بالنسبة لهم تعويضها عبر حالة لَمّ شمل جمعية تعوض ذلك الشعور الشخصي من الوحدة الخاصة العميقة ومن أجل ذلك إرتضوا أن يكونوا على الدوام كوابيس وسواسية مسالمة ومضنية في عقول أنصارهم وأن يسلبوهم بذات الوقت حريتهم وبذلك تغدو الفئات الشعبية خاصتهم تتطلّع بشكل مستميت ومُبجل وخائف لسلوك النبي الإسطوري

وعليه يُصاغ ويتهيكل السلوك الإستثنائي للنبي عبر تحويله لأهداف وغايات جمعية تبتغي الكثير و الكثير من الإنتشار والسؤدد لأن تلك الوحدة المعتملة في النفس سابقاً اكتفت من حدودها وخرجت لتنفلت على محيطها عبر أشكال وقوانين وأُطر ستشكل منظومة قيمية جمعية كاملة تسعى لتحقيق هدفها مهما كلّف الأمر وسيصعب لاحقاً الوقوف في وجهها وتحديها وبالتالي يتحول مع الوقت ورويداً رويداً سلوك النبي السالف لفكرة متينة وطويلة الأمد .

المؤمن الذي يشعر بالوحدة والعزلة العميقة على شاكلة الأنبياء سيقبض بقوة على فكرة الإله المخلّص لأن الإعتقاد بالإله في حالته تلك أي المؤمنة إنما تكون بمثابة شريك حقيقي له وونيس وسَند لأحاسيسه الخاصة بعيداً عن الناس المؤمنين التقليديين ونظرتهم الدينية الشكلية المتصلّفة الضيقة

الجنسي والجمالي :

السيكولوجيا البشرية عموماً رفقة ذاكرة التاريخ السياسي للشعوب

تعزز الخجل والهيبة من الجنس بشكل خاص

بالتأكيد ثمة تفسير نفسي على طريقة فرويد وهذا لا يخفى عن الكثيرين لكني لست على دراية تامة بالأمر للتطرق إليه هنا - يأتي هذا بالتزامن مع إحساسي بغرابة الأمر لكونه مميز ونشيط جسدياً

الأمر مضحك وطريف فعلاً أعتقد أنه من المثير والطبيعي أن يكون في الحياة مثليين وشواذ وسحاقيات ومزدوجي الجنس

فمثلاً شخص مثليّ الجنس

أو فتاة سحاقية لماذا على الآخرين إزدراء هؤلاء الأشخاص إذا لم يكونوا طرفاً بالإيذاء ؟

هل عليّ أن أرفض إنجازات مخرج السينما المبدع)لوتشينو فيسكونتي (لأنه جاهر بمثليته ؟ !أو)تشايكوفسكي (صاحب باليه -بحيرة البجع-الساحرة والذي كان معروف بمثليته على نطاق غير واسع ؟ !ببساطة حتى الأشخاص الذين لا تظهر لديهم إشارات الشذوذ الجنسي إذا ما تعرضوا للحرمان الجنسي لفترة طويلة ويقابلون رجالاً يحاكون بطريقة ما سلوكاً ما يذكّر بسلوك النساء سيشعرون بالإثارة حصل هذا معي عندما كنت في السجن وهو سجن رجالي طبعاً رأيت سيقان رجل تشبه سيقان النساء فشعرت بالإثارة إذ كنا نحيا بعالم لا يوجد به نساء وهذا يعلل لماذا تكثر حالات التحرش الجنسي في معسكرات الجيش مثلاً في البلدان النامية ذات القواعد الصارمة -فأنا على يقين أن كل إنسان عرضة لتفاعلات الحرمان الجنسي الشاذة لكن قلة من يجرؤ على الاعتراف بذلك لا سيما في المجتمعات الديكتاتورية أو العربية والبلدان ذات التوجهات المحافظة عموما

الذي قادني للتطرق لموضوع المثليين معرفتي للكثير من الأشخاص الذين يعادون زواج المثليين بطريقة إنفعالية دون محاكمة واقعية في الوقت الذي كل شخص منهم ممكن أن يتملكه شعور جنسي مختلف *شاذ *في لحظة معينة

وبين النساء الأمر عينه انتشار السحاق بين النساء واضح للذي يريد أن يرى

لماذا أقول واضح لأن موضوع الذكاء العاطفي مختلف ومتفاقم لدى النساء فهو عميق ونفسي جداً

بحقيقة الأمر نحن البشر عرضة لأي تداعٍ نفسي أو سلوكي عندما نعيش في ظل ظروف استثنائية لانتوقعها ربما القدرة على التحكم وإخفاء المشاعر تغيّب ذلك الجنوح الجنسي لدى البعض

من وجهة نظر واقعية أرى أن حالة مزدوجو الجنس قريب من تورّط الجدار النفسي للإنسان الذي يشعر جنسيّاً بشكل طبيعي مع أعمق أعماقه

إحدى المرات قالت لي فتاة ذات ميول طبيعية ولطيفة جداً إنها مستعدة أن تمارس الجنس مع فتاة رأتها ذات مرة وكانت ترغب بها بشكلٍ شديد

إذا كان العديد من المثليين أنانيين ويريدون الإنخراط بالمجتمع بأي طريقة وبأي ثمن مثلما يرى البعض فإن وجود القلة المحطّمة منهم والعاجزة عن الإفصاح والظهور كفيلة بجعل العالم يتوقف جديا أمام مشاكل هذه الفئة وإرهاصاتها النفسية العميقة الغور دولة مثل البرتغال تبدو أكثر توازنا بما يخص مطالب المثليين من خلال سماحها بزواجهم دون السماح بتبنيهم للأطفال.

إن الحركة النفسية التي تدفع الطارئ الداخلي الخروج للعلن إنما هي محاكاة للقوة الكامنة التي تدفع الفعل الإنساني أن يخترق وعيه للإقتراب من تلك القوة كي يحاكي جمالها

الجنس هذا الذي يحرّك العالم إنه فعلاً إسطورة من أساطير التألق الجسدي .

الإعدام :

أفكر كثيرا بعقوبة الإعدام وبدوافعها وبنتيجتها وأسبابها وأيضاً بتناقضها وغرابتها وبوضعية المحكوم عليه قبل تنفيذ الحكم بلحظات

وهذا الأمر منتشر حالياً وبشكل كامل في قوانين ودساتير الأنظمة العربية باستثناء دولة جيبوتي وكذلك في غالبية الدول الإسلامية والعديد من دول آسيا وأفريقيا ولكن يخطر في ذهني سؤال إشكالي متعلقٌ بنا كأفراد وهو لماذا يُعدم الأشخاص ؟ لشناعة الجرم الذي ارتكبوه ؟؟ أم لعدد الضحايا الذي ربما يؤثر على قرار القاضي ؟ أم لتأديب الأخرين و ردعهم وحسب ؟

على الأرجح لجميع تلك الأسباب

فكرة غامضة الاعتقاد بأن عقاب الإعدام يعادل الجريمة المرتكبة إلا في حالات نادرة جداً

لم أجرب شعور فقدان أحد أحبائي جرّاء عملية قتل ليكون الإعدام رد لها ولكن الرأي الشخصي بهذه الحالة سيحمل في طياته بُعداً إنتقامياً وهذا طبيعي إذا كان الضحية قريب وعزيز جدا بالنسبة لي

الفرد يفعل كل ما يستطيع كي يفجّر مشاعره في وضعية رد الفعل من خير وكراهية وانتقام وشغف لكن القانون محكوم بالبنود والقواعد كما هو معلوم

ثمة تناقض واضح بين حقيقة القوانين القضائية القائمة على الدليل والإثبات وبين مشاعر وسلوكيات الإنسان المتنوعة والفريدة والغريبة

القانون يحكم ويحاسب بالنتيجة على لحظة اقتراف الجرم والتي من الوارد جداً أن تكون اللحظة الأكثر هشاشة من السلوك الغير محسوب

ليس سراً أن ثمة أشخاص يعيشون بيننا ولم يرتكبوا جرائم جنائية لكنهم أكثر خطراً وشرٍ و إيذاءٍ من أشخاص ارتكبوا جرائم قتل فعليا

*

من الناحية العملية أي شخص منا من الممكن أن يكون مجرماً من وجهة نظر قانونية إذ ربما تحاول إبعاد شخص يريد ضربك فيسقط أرضاً ويموت جراء سكتة قلبية عندئذ تغدو مجرماً وقاتلٍ من وجهة نظر القانون ربما سيكون

هناك حكمٌ مخفف في حالة عدم القصد أو الدفاع لكن يظل حكمٌ سيؤثر على حياة المرء ونوعية أيامه بعد أن يمضي عدة سنوات في السجن .

إذاً هل أطالب بأن يظل المرء المُرتكِب لفعل القتل غير العمد الذي منشأه الصدفة حر طليق

بالواقع ليس لدي إجابة ولا أعرف تماما ما الذي يجب فعله مع تلك الحالات ولكن الذي أعرفه يقينا أن محاكمة الموضوع بالطريقة القضائية المعروفة يعد إشكالي جداً ولا أجده عادلاُ أو ربما منصفاً بحده الأدنى خاصة إذا كان المجني عليه غاية في السوء والشر

لنتفق بأني أرى الموضوع من وجهة نظر شخص عادي وليس خبير قانوني قريب من الأجواء القضائية ومع ذلك أرى أنه من غير العدل إذا كان هذا صُلب طرحنا بأن يكون المرء في لحظة ما أسير قانون ما قابل بأن يرتكب خطأ أو هفوة في لحظة ربما تتسبب بتدمير حياة شخص يستحق فعلاُ أن يعيش بطريقة محترمة هذا كل ما في الأمر .

ومع حكم الإعدام ينتقم القاضي للضحية وللمجتمع وللعدالة الهشة !لكن أيضاً ينتقم لنفسه و لقيمه المتوجسة والمتحفزّة قبل أن ينتقم للمجتمع

إذا كان القضاء عادلاً وبوضعية أفضل بطبيعة الحال من المجرم وهذا أكيد فعليه على الأقل محاكمة الأمور بطرق تبتعد عن القتل بشكل مباشر وليس بطرق تحاكي تلك التي يستخدمها القاتل

إن المَرضاه الحقيقية لتحقيق العدالة تكمن في مساحة الحياة وهذا بالضبط ما - يتم التعاطي معه من قبل القوانين الوضعية إذ لا يوجد أثمن من الحيا ة أما فكرة الموت فهي العذاب الحقيقي للخوف

حالات الإعدام لا تردع الأشخاص القتلة بطبعهم وإنما هي تُفزع الأشخاص المسالمين غير القتلة

ليس ثمة قاتل واحد واثق من نفسه يفكر بعقاب ما بعد الجريمة أو يخشى حبل مشنقة كل ما يحتاج إليه لإنجاز المهمة هو أن يكون حذراً

إن طرح الفكرة على تلك الشاكلة يعد بمثابة ملاحظة سطحية خاطفة لموضوع يحتاج لأبحاث عميقة ومدروسة ومع ذلك أعتقد أنه من المثير التطرق لهذا الموضوع من كافة الزوايا المتاحة حتى ولو كان عبر نبذة بسيطة .

***

السؤال النفسي الكبير هل نحن كائنات خائفة أم لا ؟ أم نحن كائنات قلقة مثلاُ؟

عن نفسي أقول بأني كائن قلقٌ إلى حد كبير و ربما خائف في أحيان عديدة ومن الوارد أن يظهر هذا الهاجس النفسي من خلال سطور هذا الكتاب فلا أعتقد بأن معرفته أمر شائكٌ أو صعب على الأقل بالنسبة للقارئ المختص بالشأن النفسي

أعتقد بأننا نتسم بالقلق والحذر من المجهول بالنسبة لحالتي أعتقد أنه خوف الشخص الذي يريد أن يغامر على الدوام هو شيء مزيج من القلق والخوف من أن أنسى ما أريده من هذه الحياة والأمر الجدير بأني أحاول مقاومة قلقي بأساليب جمالية ونوعية لا أختارها عن عمد ولكنها تشي بذلك وهذا لا يعني بأني لا أخاف من أمور اخرى كخوفي من تداعيات تفاقم مشاعر الوحدة لكني مؤمن بأنها أصدق من ضجيج لا أطيق سماعه

أتكهن أحيانا بأنها مناسبة لي ولهواجسي وعُقدي وأحلامي التي لا تعرف اليأس ...

*

في صغرنا كنّا نحيا في أمان تام وبلا خوف مؤذي نرضع الحليب من أثداء أمهاتنا ونغفو في سلام تام وعندما نكبر نغادر ذلك العالم ويبدأ الخوف يعشعش ونبدأ بدورنا البحث عن بديل للزمن الأمومي الضائع حتى نجد في أحلامنا وغريزتنا الجنسية محاكاة نسبية للزمن الطفل تجعلنا نحيا في أمان نسبي حتى النهاية

أمان يحاول محاكاة الأمان العظيم الذي ضاع - أمان الطفولة الرَحم

أعلم جيدا بأني لست مركز الكون لأظل أتحدث عن نفسي وإنما البحث عن معنى وجودي كاحتمال بتفاصيلي هذه و وسط ظروفي التي أحياها يجعل الحياة قابلة للتفكير وسط أجواء غاية في الريبة والإثارة

أتحفظ جداً على فكرة توصيف القلق على أنه نقطة ضعف جذرية في شخصية الإنسان في حال أدركت كفرد هيئة ذلك القلق بل على العكس من الممكن أن يتحول لنقطة إيجابية في حال إستثماره بطريقة إبداعية أو فنية أو أي شيء يفجّر إمكانيات الشخص

برأي ليس ثمة شخص سويٌ نفسيٍ بل ثمة شخص تظهر مشاكله النفسية وشخص لا تظهر تلك المشاكل لديه

الأرجح إن وِجد ذلك الشخص *السوي نفسيا *سيكون شخصٌ رتيب وممل وفاقدة للحرارة

حول الإرتداد الفكري :

. أحيانا هيجان الفكرة ومتعتها يرافقه هيجان جنسي

هناك أمر لا أنفك أفكر به وهو لماذا العديد من الأشخاص المرئيين أو الشخصيات العامة ومن كافة الفئات الفكرية عندما يتقدم بهم السن يتراجعون فكرياً وتتغير قناعاتهم نحوالإتجاه السلبي وبشكل جذري وينعكس ذلك على سلوكهم من خلال حالة الارتداد الفكري التي تحصل فبينما يكونوا في شبابهم يملكون لمعان القوة الذهنية فيغدون بعد مرور السنين أشخاص تجاريين ومهرجين ويميلون نحو الظهور على الشاشات والندوات بشكل متزايد بوصفهم مهمين ومساهمين بتغيير العالم بينما يُظهرون بذات الوقت وفي غالبية لقاءاتهم مدى هشاشتهم وخوفهم من ابتعاد الأضواء عنهم .

أمر محبط أن يتنازل العقل عن كل ما سعى إليه وجعله ينتصر في لحظة ما

ما أكرهه بإولئك الأشخاص هو التغيّر الغير منسجم الذي يطرأ

يبدو ثمة عامل داخلي متعلق بالتقدم في السن أو ربما عقلي متعلق بخلاية المخ ؟

فثمة فنانون ومفكرون تشعر بأنهم خُلقوا ليغيروا العالم وعندما تستمع لآرائهم تجدهم تقليديون وأحياناً رجعيون لكنهم يمتلكون موهبة محدودة دون تتويجها بصدق وحساسية كفيلة بتغير شيءٍ ما في هذا العالم وعندما أقول تغيير شيء في العالم أقصد بذلك تغيير شيء ما متعلق بتفسير المرء لنفسه وبالتالي يغدو المرء أكثر جمالاً و فنّاً وعندما يصبح كذلك يتغير شيء ما في العالم لاحقاً سأحزن كثيراً لو خَبت طريقة عمل عقلي ورَجعت إلى الخلف وباتت فاقدة ليقينها وقَدرها حتى لو لم أكن في حقيقة الأمر على قدر كبير من الموهبة

من المخزي أن ينسف طارئ نفسي أو عقلي معين كل ما أنجزته تجربة الذاكرة عبر سنواتها الطويلة ..

إن هذا يؤدي للحديث عن الموهبة الممزوجة بالصدق والنقاء إذ برأيي ستكون أقصى ما يمكن أن يصل إليه المرء من كفاءة وروعة لأنها ستكون محصنة تلقائياً إلى حد بعيد من الانزياحات النفسية أو العقلية المحتملة مع مرور الزمن والتقدم بالسن موهبة على شاكلة سيغموند فرويد–فيكتور هيجو –ناظم حكمت -آرثر رامبو— كارل ماركس- ليوناردو دافنشي _محمد الماغوط - موزارت

لأن مثل تلك المواهب هي فقط الجديرة بتغيير العالم تلك المواهب التي تبحث عن ذاتها ومصدر إلهامها حتى آخر نفس وليست المواهب المتوسطة المفتقرة لعمق التأثير والتي تعتقد بأنها قدمت خدمات جليلة للعالم بينما تتوقف وهي ما تزال فعلياً قادرة أن تفعل الكثير بأن تُغذي تجربتها الأولى بتجارب أخرى ربما تكون أجدى وأكثر نفعاً من سابقتها وهؤلاء من قصدهم حديثي بالأعلى

فمثلا أشعر بالغرابة والدهشة على سبيل المثال عندما أشاهد ممثلاً سينمائيا كبيراً مع أن التمثيل ليس فنّاً رئيسيا بكافة الأحوال بل هو أداة تعبيرية لكنه يبقى شيء مرئي يقوم بعرض حالة معرفية معينة - فائزاً بعدة جوائز أوسكار وينعم بثراء فاحش لا يساهم إن كان يحمل مبادئ وقِيم معينة مثلما يوحي سلوكه

وتوحي تصريحاته وإن كان يوحي بالسخف وبوَهم الإعلام أيضاً في أن يكون مناصراً للقضايا الحيوية المتنوعة التي تعم العالم بشكل عملي وفعال أي أن يتصرف كإنسان حيوي على الأقل يتحلى بالوعي والمعرفة بالتأكيد ليس مطلوب منه أن يتصرف بالضبط كسياسي نافذ أو فيلسوف أو مفكر مُهم أو شاعر أو ثوري ولكن أن يعبّر عن هويته كفرد فاعل لا أن يقتنع بأنه مجرد ممثل مشهور وليس من شأنه القيام بأي التفاتة تجاه أي موقف بالعالم خاصة إذا كان ذلك الموقف قريب منه ومن طبيعة حياته أستغرب من هؤلاء القوم كيف يقبلون بالجوائز والتكريم على منصات التتويج مبتهجين لتصفيق الحاضرين و بألقاب وأموال تُغدق عليهم من هنا وهناك أستغرب من هذه الفئة كيف ترتضي أن تحيا على هذه الشاكلة وسط الكوارث من حولها بالوقت الذي يستطيعون أن يروجوا دعائياً على الأقل لكثير من القضايا إنهم يرتضون أن يكونوا أداة إعلامية للكاميرات وللسجاد الأحمر فيما يبتعدون عن كونهم أداة حيوية ناضجة تستطيع فعل الكثير إن أي مهنة محترمة نلتزم بها هي جزء من موقف عام نتبناه من الحياة

على سبيل المثال ثمة ممثل سينمائي معروف مشهور "روبرت دي نيرو "والذي يمتلك موهبة تمثيلية لا غبار عليها بعد تجربة سينمائية ثرية قام مع مجموعة أخرى من الممثلين الأمريكيين بزيارة رسمية لمدينة القدس كي يشارك في عيد مولد الرئيس الإسرائيلي بعدما كان قد أدان إسرائيل بمقابلة في تلفزيون أمريكي أواخر 2012- بسبب قصفها لمدينة غزة الفلسطينية منتقداً بشدة موقف الولايات المتحدة الأمريكية الداعم لها أي لإسرائيل واصفاً إياها بالصاحب الذي يرعى الكلب بإشارة مباشرة لإسرائيل ليست الزيارة بحد ذاتها هي الحدث المريب فهي أمرمفهوم بالنسبة لممثل أمريكي مشهور ينتمي لحزب سياسي أمريكي)الحزب الديمقراطي (في حال لم يصرّح بأي شيء يثير إلتباساً معيناً ولكن أعلق على الازدواجية في سلوك دي نيرو نفسه فبالنسبة لموضوع الإدانة التي صرّح به سابقاً لا يُعدّ موقفاً عظيماً فكل إنسان لديه ذرة إحساس واحدة سيُدين قصف المدنيين في أي مكان لا سيما إذا كان بأسلحة ثقيلة وفتاكة وبعد سنة يذهب لحضور عيد مولد رئيس الدولة التي قامت بذلك القصف والتي يحتقرها أصلاً بوصفها حسب ما قال مسؤولة عن حجم الدمار الكبير الذي

طال تلك المدينة ليقول بعدها إنه يستمتع دائماً بزيارته لإسرائيل وإنها بلاد دافئة وإنه يتفهم عدوانية شعبها مثلما وصفه وإلخ...

لا يحق للممثل في تلك الحالة المتعلقة بأرواح البشر أن يتردد ويقايض على قناعاته بفصلها عن بعضها لكي يساير وضعاًسياسياً أو جماهيرياً متعلقاً بمكانته الحالية بين عشاق السينما لا يحق له المقايضة فكرياً على الدمار الذي حصل في مكان ما بذريعة أنه يريد أن يكون لطيفاً وعقلانيا في ظرف ووقت معين هذا تفكير ثقافي مزيف وغير بريء

سلوك ذلك الممثل في تلك الحالة يمثل مزيجاً من الإزدواجية والتردد والإدعاء والإستهتار بعقول المتابعين الذي ينتظرون منه أن يكون صادقاً مع نفسه على الأقل أكثر من إقدامه على مجاملة هذا الطرف أو ذاك ؟!

من اليسير إدراك أن الانتماء لحزب سياسي بأمريكا بينما يكون المرء ممثلٌ أو مغني يحمل في طياته مفارقة بحد ذاتها بين غاية هذا الفن وأهداف السياسة الدنيئة بأرضيتها المعروفة

المثال السابق سيصبح طي النسيان بعد سنوات وربما بعد بضعة عشرات من السنين ستختفي الظاهرة السينمائية العالمية بشكلها الحالي ولكن غرضي من التطرق إليه كان عن ماهية السؤال الأخلاقي عبر التلميح بأن مواقف معينة بسيطة لكنها جوهرية قادرة على كشف هوية الفرد وقيمته كذات بعيداً عن الغطاء العظيم الذي يوفره الإعلام والبروبغندا لهذا الشخص أو ذاك

والفن السينمائي بأفضل حالاته هو ذلك الاقتراب القلق من الفن الرفيع بأفضل حالاته أيضا والذي ينجح في لحظاته الخاصة بإضافة شيء لنفوسنا على المستوى الشخصي و الفن الحقيقي فعلياً هو الذي لا ينفصل عن الأوضاع الجادة الواعية وبالتالي تستطيع تلك المسؤولية الواعية التأثير على الوضع السياسي لاحقاً لا أن تكون تابعا غير مباشر له

*

لا يحق لي أن أدعي بأني فنان حقيقي بالوقت الذي أقايض به على أهمية ما أقول أهمية قناعاتي ..

من أجل ذلك تحدثت آنفاً عن الصدق وعلاقته بالموهبة النقية والصدق يعني البراءة في التفكير مثل تلك المواقف تضع حدٌّ لأيّ تساؤلٍ مستقبلي قد يتعلق بجدوى تلك المهنة التي يقدمها أولئك الأشخاص وبُعدها التأثيري أنهم أسرى عالمهم المرصّع لا يستطيعون الخروج منه وهذا ما يضع الفارق ويجعل مشاهير السينما بعيدين عن الجوهر الفني الفاعل باستثناء حالات نادرة.

ليس هناك أكثر بؤساً ونَدماً من أن تتراجع بينما تؤمن في أعماقك بضرورة التقدم للأمام .

*

عموما في عالم المواهب يوجد نوع عظيم وخاص ينفلت من إطاره لينخرط بمجال آخر أي عندما تتعالى الموهبة وتصبح مشعّة بشكل عظيم تغدو دون قصدها مدخلا لفن آخر ليس من إختصاصها

فمثلا موهبة كاتب روائي مثل دوستوفسكي كانت عظيمة لدرجة أنها تُعتبر لدى العديدين بأنها كانت مؤثرة بشكل ملحوظ بعلم النفس الحديث الذي تبناه فرويد كمؤسس

مثالٌ آخر الشاعر آرثر رامبو والذي ساهمت موهبته الشعرية الَنزقة الفذة بتكريس نظام فني شديد الخصوصية يُدعى السريالية

أنا أهتم بالتفاصيل التي أذكرها هنا لمعرفة جوهر ما يقوم به الأشخاص وتماهيهم مع أفكارهم فبالنسبة لي لا أنظر للتمثيل السينمائي عموما مع إعجابي به إلى أنه مرجعية قيمية كبيرة إذا ما قورن بالموسيقى أوالشعر أو الأدب أي لا أنظر للفن السينمائي من خلال الممثلين بل عبر نخبة من أعظم المخرجين السينمائيين المفكرين كإنغمار بيرغمان – أكيرا كوروساوا- لوتشينو فيسكونتي- (فلليني- فيتوريو دو سيكا وقلّة آخرون غيرهم

أفكر ما الذي يريده النجم العالمي من التمثيل ؟ هل يريد أن يكون قدوة لأجيال تمتدحه لأنه يجيد التمثيل وحسب ؟

أم لأنه مقتنع بأنه شخصٌ مُهماً فعلاً وبناء عليه يستحق الإنتشار ؟ !هذا هو السؤال الذي يجب أن يطرحه المرء دائماً على نفسه

بالفعل الكثير من إولئك القوم منطوون جداً على أنفسهم

والمنطوي على نفسه بذلك المعنى هو الذي يتوه من شدة إنخراطه بالزحام والضجيج فيفقد جوهره وكذلك إدراكه لذاته إذ أنه يلتصق بإغراءات الإطار الإجتماعي لدرجة نسيان نفسه كذات مستقلّة وهذا يختلف جذريّاً عن الإنطوائي الفني الذي يفضّل الإختلاء بنفسه والبحث عن ذاته على أن يكون مع مجموعة تساهم في تضليله

في البداية سيجد الأخير صعوبة في التواصل مع الآخرين ولاحقا سيكون راضيا عن نفسه وعن شخصيته

وليس تقييم الفكرة هنا محكومٌ بكون المرء يفضّل البقاء بين الناس أم العكس وإنما القصد أن يعرف نفسه وموقعه في المجتمع الذي هو جزء منه

*

: بعد شهرين

شيء مدهش أن يستمتع إنسان بجمال إنسان آخر أن نحّس بجمال وألق بعضنا البعض

عينا الإنسان إعجوبة من أعاجيب الخَلق فعلاً

أعتقد أن كل الناس جميلون بشكل أو بآخر مع إنك لا ترى على الدوام الموضوع من هذه الزاوية عموماً يوجد حد أدنى من الجمال بوجه كل إنسان والذي يجعل الوجه غير جميل هي الطِباع ولغة الجسد أما الشخص الحسّاس و الرقيق وطيب القلب هو بالتأكيد شخص جميل وللجمال والحلاوة دلالات أخرى عندما يتعلق الأمر بالنساء

إنه لأمر عبثي وغير عادل ألا تجد المرأة من يرتبط بها مثلاً أو يُسمعها مغازلة لطيفة لأنها ليست جميلة وحسب إنه يشبه مثلاً بأن يُولد المرء أعمى لأن هذا أيضا أمر عبثي وغير عادل

الحقيقة إننا مهووسون بالجمال في كل وقت وفي كل تفكير وفي كل حادثة

فنحن لا نسأم ولا نشبع من هذا الإرهاق الأبدي المتفاقم الذي يُدعى الجمال

الانتقام التاريخي :

. إن من الملفت أن يكون الانتقام دافعاً وجوديٍ للتقدم

إذ أن العديد من العظماء والمؤثرين في التاريخ انتقموا من شيء أسر ـوكبّل بداياتهم ليتبدّل لاحقاً على شاكلة لمسة حضارية واضحة مشرقة أحياناً ومظلمة أحياناً آخرى فلسفة كارل ماركس ومؤلفاته مثلت إنتقامٌ فكريّ من معاصريه ومنتقديه الأشداء بنظرتهم له بوصفه مخرباً ومنقلباً على معتقداتهم التقليدية فكان إنتقامه فكري ثوري إستثنائي وشديد الخصوصية

الزعيم الهندي غاندي - انتقم من اضطهاد الغرب للهنود واستعلاءً نظرتهم للهند فكان إنتقامه سلميّاً فريداً

في الجانب المظلم لدينا هتلر *الرعب *ربما انتقم من خذلان المجتمع له عندما كان يريد أن يكون رسامٌ بداية شبابه وتم رفضه عدة مرات فكانت لمسته التاريخية لاحقاً شديدة الظلام والبؤس والشر

لنتخيل معاً أن هتلر في بداياته كان محظوظاً وتم قبوله من طرف المؤسسة المشرفة على الفنون من خلال وجود شخص ما في تلك المؤسسة كان قد وجد في هتلر ملامح لموهبة في الرسم

ربما وفقا لتلك النتيجة الإفتراضية لم تكن لتقوم الحرب العالمية الثانية ولا كان .. ليموت اكثر من 50 مليون إنسان ..ولا كان ..ولا كان .. ..إلخ

هذا عبثي وغريب ومن الممكن كذلك النظر إليه من زاوية أن الظرف التاريخي عندما يحتاج شيء يقوم بخلقه وأيضا من الطبيعي النظر إليه مثلما حدث دون الخوض بأي احتمالات جانبية أو محاولات لخلق تكهنات لا طائل منها لأنه .. ببساطة قد حدث فعلاً وبما لا يقبل الشك

وبالطبع ثمة عشرات النماذج التي لا تقل فتكا عن هتلر تغيّر قدرها بسبب حدث معين أو صُدفة غريبة

بالمحصلة جميع النماذج الخاصة المؤثرة كانت أصحاب أشياء خاصة تتفاعل مع ذواتها وكان في أعماقهم هاجس عميق يريدون قوله أو التعبير عنه بشكلٍ ما لكن القدر هو من يحدد ذلك الشكل فيوجّه تلك القدرات حسب الظرف التاريخي المعاش كما تلعب الحقيقة النفسية لكل فرد منهم لعبتها وبالتالي تتبدل مع تبدّل الظروف والأحداث البيئة الرومانسية المسالمة للفرد إلى بيئة للصراعات الإيدلوجية الثقيلة ؟ !والبيئة الأدبية الخصبة تتحول إلى بيئة ثورية والبيئة الدينية إلى ماكينة فذّة للتصفية وحياكة التحالفات العنفية و الخ وهناك الكثير من النماذج الذين تبدلت قدراتهم بفعل الظرف والصدفة والحظ وأيضا لأن الإرهاصات النفسية العميقة للمرء تتفوق على قوة فكره ومعرفته عند أخذه قرار ما فيجنح لاحقاً نحو هدفٍ لم يكن يفكر به أو نحو مصير لم يكن مُتوقع له

*

يبدو أننا مضطرين بأن نعادي شيئٌ ما في صيرورة حياتنا بالرغم عنّا إذ لا يمكننا أن نعيش حياة كاملة دون أن نبادل أحدٌ شعورٍ عدائي ما

من وجهة نظر عملية غير متشددة فإن الانتقام في حالات معينة هو الدفاع الخاص عن كرامتنا بمعناها التقليدي الإجتماعي وهو الشيء الذي يعكس توجّه سلوكي معين ويُترجم نيّة تعاطينا مع ما نريده من الحياة على الرغم من أننا لا نفهم ذلك التوجه أو نشعر به بشكل دائم

لكن الإنتقام التاريخي الممنهج في حالة أشخاص عظماء مثل هيغل وفرويد و ماركس و داروين و دافنشي لا ينبع من كراهية مؤذية وإنما من نزعة خلق وتمرد عميقتين تتبدل كإشعاع ظاهري عام يصيب كل من حولهم

فالإنتقام بالنسبة لهم هو إنتقام من أشياء غير محددة بعينها وهو تعبير عن الإشمئزاز والسخط الكبير مما يرونه من حولهم

إبداعهم هو رد الفعل المناسب والبصمة التي يجب أن تُترك

لن أصر هنا على مصطلح الإنتقام لأنه لا يهم كثيرا قياساً بالنتيجة التي تركها إولئك الناس

*

إن توجيه الكراهية وتحديدها هو نوع دبلوماسي يرغب بالمودة وفرملة الأذيّة عند حدود معينة

في أحيان عديدة لا تكون المحبة عكساً للكراهية وإنما شكلاً حضاري لها شكلٍ غير قاتل ، شكلٍ دبلوماسي .

*

الشغف في صناعة الحدث :

بعيداً عن عقلية المؤامرة

سيكون هناك دائما شيء صحيح عن الشخصيات التاريخية المعروضة أو عن الأحداث التاريخية أو حتى المعاصرة لكن ليس بالضرورة أن يكون كل ما هو متعلق بتلك الشخصيات حقيقيٌّ أو صحيح وإنما سيكون قريبٌ من الحالة المتخيلة عنها أو من الحالة التي كانت عليه فعلاً فالعَرض بكافة أشكاله يعتمد على الشيء الأقرب للتصديق وليس شرطا أن يكون حدث بنسبة مئة بالمئة

في الواقع نحن نعشق هواجسنا وتوقعاتنا وآمالنا ونتمسك بها حتى النخاع والحقيقة أنها تستحق أن يُبذل كل ما هو ممكن لأجل تحقيقها أو الإقتراب من أحلامها والذين يكتبون التاريخ والأحداث هم بشرٌ مثلنا وعندما يحاولون أن يكونوا أمناء في نقل فكرتهم يظلون بشرٌ فينجرفون نحو توقّع أو هاجس ما بينما هم يسردون الأحداث

على سبيل المثال عندما نشاهد فيلم وثائقي عن إفتراس الحيوانات والتي أحبها كثيرا كأن يعرض الفيلم حياة جماعة من الأسود من نشأتها حتى تصبح بالغة على مدار ست سنوات بالإعتماد على الملاحظة والمراقبة من قبل المصورين وصانعي الفيلم فتشكل تلك الأسود لاحقاً مجموعاتها الخاصة

إن أكثر ما يلفتني في هذه الأفلام الحبكة المتقنة والإسلوب العاطفي الذي يجعلك تصدّق ما حدث فعلا وهو ربما حدث فعليا في غالبية أحداثه

لكن أنا على يقين أن هناك بعض التفاصيل الدخيلة على الأحداث كأن يعوض أسدٌ دخيل ما وجود أسدٌ أساسي بالقصة أو أن تظهر مجموعة من الأشبال اليافعة مختلفة قليلا عن الذي عرضها الفيلم أو أن يعرض مخرج الفيلم والمُصور أن الأسد الذي يمشّط منطقة سيطرته عن بُعد هو أحد الأسود المحورية في القصة بينما ربما يكون أسدٍ آخر بحكم كثرة توزع الأُسود وسعة أراضيها خصوصا أنه في بعض الأفلام لا يتم تعليم الأسود بربطةٍ حول العنق من أجل ذلك فإن الخلط يحدث أحيانا حتى لو بالخطأ أو أن يحدث تغيير ما بحركة الأُسود أثناء نوم فريق العمل أو أو أو ...

الذي أريد قوله بأن صانعو مثل ذلك الفيلم ربما لا يتقصدون بشكل مباشر إختلاق الأحداث لكنهم ربما بشكل غير مقصود *الحقيقة لا أعرف *يجدونها أقرب لما يرغبونه في أعماقهم ويجدوه مناسباً كأن يتحدثوا عن نهاية القصة بطريقة درامية وعاطفية تنسجم مع المجهود الذي بذلوه ومع العلاقة التي خلقوها عبر سنوات مع تلك الحيوانات الرائعة وهم يكونوا صادقين بعاطفتهم تلك

لكنهم يتشوفون في أعماقهم لخاتمة مثالية لذلك المجهود الطويل

كلنا يعلم أن حجم التأثيرأت وطريقة التعليق والسيناريو يلعب دورا كبيرا وحسّاساً في صناعة الأفلام عموماً .

وفي أفلام أخرى يكون هناك مبالغة في الأرقام وأعداد الحيوانات بشكل واضح لا يقبل اللبس كمثلاً بما يتعلق بطول الحيوانات كأن يقول لك معلق الفيلم وهو يستند على سيناريو مكتوب بالطبع بأن طول التمساح ستة أو سبعِ أمتار وهذا غير صحيح بالمرّة رأيت تماسيح ضخمة أمامي ولا يتعدى طولها ثلاث أمتار أو فيما يتعلق طول أجنحة بعض الجوارح أو إرتفاع الأشجار في منطقة كالأمازون مثلاً والتي صحيح أنها تحتوي على أشجار معمرة طويلة لكن ليست بتلك الأرقام التي يقولونها

أحب بشكلٍ كبير أجواء المقارنة بيننا كبشر وبين بقية الحيوانات من حيث طريقة عمل الغريزة وشكل الرغبة وتوقيت الحاجة للعنف وتاريخ التكيف مع الأجواء المحيطة .

****

في *العدمية *المُشرقة :

الإلحاد بوصفه قيمة ما

لماذا علينا نحن الأفراد الشباب بشكل خاص ذوي التوجه الإلحادي مثلما الإعتقاد بأن جوهرالحياة هو السأم واللامعنى ؟!!

أحبذ طرح احتمال أن يكون المرء متصالح وراضي عن ذاته وفاهم لطبيعة الجمال وروعة تحقيقه بالرغم من كونه وجودي مُلحد لا يؤمن بالآخرة والماورائيات مع أن الإلحاد بشكله الخارجي المجرّد لا يمثّل بالضرورة عمق الفكرة الوجودية وجوهر حريتها الضمني التي هي دعوة حقيقية للتفاهم الحياتي المتين الغير مهادن والواعي لقضايا الحياة ومشكلاتها مع ضمان مساحة لحفظ التصرف الحر لدى الفرد

في الواقع إن حالة القلق الفردي من المستقبل تفرض وجودها في خضم المعركة الدائرة بين المرء وذاته وطريقة تعاطيهما مع الوقت والسؤال الوجودي العصري هو عن العدمية :ماذا بعد ؟ أي هل انتهى الكلام ؟!!

لا شك أن القيام بفعل الخير ببعده العملي يولّد عند المرء طاقة إيجابية متحررة في التعاطي مع الآخرين وهذا عامل جوهري لمقاومة الإحباط وخيبة الأمل التي من الممكن أن نواجهها في الحياة ولكن من وجهة نظر تبدو أقرب لنوعية الحياة التي نعيشها أرى أن المحاولة في محاربة فكرة الخلاص الفردي المتمثلة بمركزية الفرد من خلال التماهي مع القضايا الأساسية الشاغلة للفكر- والابتعاد عن الحياد السلبي تجعلنا نصل لنتائج أفضل وأكثر نضجاً إذ أي طريقة تفكير تبتعد

عن المحاباة ويكون لديها الإصرار للمتابعة قدماً نحو الألق الفكري الذاتي الذي سينتشر لاحقاً _سيكون من المرجح أن تكون نتيجتها أي طريقة التفكير تلك استمرار الحياة بأكثر فاعلية وتأثير أي أننا نجنح هنا نحو الكائن الغير *وطني * وفي هذه الحالة لن نرضى بأن يكون هذا الكائن سلبيٌّ وإنما ذو نزعة مفكرة حسّاسة وميول ثوري إذ إن النقاء الذي هو جوهر القيمة الأخلاقية المنافي لذاك الشكل الدَعَوي المضلل المترفّع الكابح للرغبات - سيكون إبداعيٌ جَلي حينما يصبح متناقضاً كليّاً مع الهوية الدينية السياسية المفرّقة للبشر

إن الأخلاقي الحقيقي ليس بالخامة الاستثنائية وإنما هو الشخص العادي الذي تبدر منه أفعال خيّرة وشريرة معاً

ففي موقف ما تخرج المحبة منه وفي ظرف آخر تخرج الأذية إذا كان في موقع دفاعي أما الذي يجعلنا نسميه أخلاقيٌ هو أنه يَعي ذلك بشكل عميق وبالتالي تغدو سلوكياته أكثر توازناً ودراية

في هذا الزمن ظروف الطرح المتعلقة بمحاربة الخلاص الفردي غير مكتملة وهذا لا يعني بالضرورة أن يكون متاحاً في زمن آخر ولكن مرةً أخرى المرء صاحب التفكير السالف لن يكون منسجماً دائماً مع إدراكه الواقعي للفراغ القادم في حال تم تجاوز مركزية الفرد إذ لن يفلح بعزل طموحه الشخصي فليس الجميع فاهمين لطباعهم مع أن الجميع يشعر بنوعية سلوكه

الطرح السابق يحمل جدية وأحياناً أخرى قد يراه البعض مبالغة كلامية لن تقنع العديد من النماذج إذ أن فكرة الخلاص الفردي عبر ممارسة الواقع الفعّال الإيجابي من جانب تحمل معنى ومن ناحية أخرى لا تكون كذلك إذا لم تحمل عزيمة وظروف كافية للاستمرار والشخص السائر على طريق إثبات القيمة ذات التأثير سيحتاج الشجاعة أكثر من أي شيء سيحتاج النُبل ..هذه الصفة التي تبدو فوقية وبعيدة عن غالبية البشر لكن النُبل الذي يحتاجه إنما هو لإنقاذ نفسه ولنجدة مشروعه وليس من أجل أي شيء آخر

إذا كنتُ حقاً من أصحاب عقلية التغيير فعلي التحلي بقِيم تستند على إلتزام ضمني يساعد على أخذ القرار وإما سأكون تجسيداً لمحاولة حركية غير ناجعة تستطيع الكلام ولا تقوى على الفعل

وعندما أقول تغيير هنا إنما أقصد محاولة تغيير الفرد لنفسه ولأني مؤمن أن محاولة تغيير المرء لنفسه يقود بالضرورة للأجمل والأمتع والأكثر شغف وعاطفة

بالنسبة لي تلك هي نشوة الإنسان بعيداً عن أي إغراءات ومكافأت لاهوتية تجعله فريسة لوعود غير بريئة تستنزف طاقته الإيجابية الكامنة وتجعله يقع في شرك الإغراء الزائد التي توفرها الثقافة التلقيمية الجاهزة والتي تخّلّف ذاتية عكسية ينجم عنها مزيداً من الإحباط والعدمية الغير قيادية ولكن الفهم النسبي للذات وجعلها أكثر إنسجاماً وتجاوباً مع قناعاتها سيقود بالضرورة للتماهي الخارجي الواعي لمصيره وهنا بالتحديد يتغير مفهوم العدمية من شيء مجهول الهوية كأفق غير واضح إلى مشروع استراتيجي نفسي وفني موضوعي وطويل الأمد أي أنه يبتعد عن كونه تراكم ثقافي فكري يفضي لنتيجة اللامعنى واللاجدوى وذلك يحدث أي التغيير المتوقع عندما يتشكل إدراك ذاتي ناضج وحيوي يصدّق بأن هدف الحياة هو الجمال والعاطفة وشغف المعرفة وبالتالي يتم تغذية الفرد على الدوام نفسياً وفكرياً وحتى صحيّاً

فكرة أن الكوكب وإنجازات الإنسان محكومة بالفناء وبأن الموت يعادل الفراغ معقولة جداً وواقعية لأنه يوما سينتهي كل شيء فهناك عُمر لكوكب الأرض وعليه ان ينتهي في وقتٍ ما هذا سيحدث لكننا لا نعرف ماذا سيحدث تماماً بمعنى أننا كبشر لا نستطيع التماهي كليّا مع توقعنا المستقبلي ومع تلك الحقيقة على حساب حياتنا الخاصة ونتائجها والتي من الممكن ان تكون خلاّقة لأن الحقيقة المعاشة العملية اليومية هي أن الإنسان لا يشغل تفكيره كل لحظة بأن كوكب الأرض والمجموعة الشمسية مثلاً لا تساوي ذرة قياساً بالكون الواسع بل إننا نفكر عوضا عن ذلك في كيف سنعيش يومنا وكيف نتدبر أمورنا وبأننا نستمتع بكوب القهوة صباحا بينما نحن نتابع أغنية أو فيديو على اليوتيوب مثلا ..هذه هي الحقيقة أي هذا ما يهم بالمحصلة لا أبتغي تسطيح الفكرة وإنما ما أود قوله أنه عندما وصل التفكير البشري لمفهوم العدمية فإن هذا كان نتيجة عمل جبار وخلاق وتراكمي لتاريخ الفكر الفلسفي وعليه يجب الإستمتاع به وطلب المزيد من الغذاء الفكري له ليظل يصل لنتائج مهمة وهنا تبرز المشكلة الفكرية والتي غُذيت سابقاً فبدل من تجاوز هذه النتيجة أي

العدمية بوصفها نتاج قابل للتأويل نجد أن الكثيرين من الأفراد والدارسين على الأقل على المستوى المتداول يرون أن العدمية هي بمثابة نتيجة نهائية لمجهود العقل والفكر تم ربطه مع نتائج الطبيعة والعلم والفضاء والذي لا ينفك يصل لنتائج كل يوم و النتيجة النهائية بالنسبة لهم هي اللاجدوى واللامعنى دون أن يلتفتوا أو يشعروا بأن المعنى كان في طريق وصولهم لتلك الفكرة

التقيت مع عدد كبير من الناس يتحدثون عن إحساسهم بالعدمية بينما يعيشون بطريقة غير عدمية بل ومثابرة أيضاً

لنسأل أنفسنا مثلا ماذا حصل منذ سطوع مفهوم العدمية حتى يومنا هذا

الذي حدث أن الدنيا تغيرت وانقلبت رأسا على عقب من خلال عبقريات الفضاء والكومبيوتر والتقنيات

هل أستطيع ان اعتبر هنا بأن هذا التطور هو نوع من العدمية الخلاقة ؟ نعم هذا ممكن ومشروع وإذا كنت قد وصلت لتلك النتيجة فبكل بساطة ليسقط مفهوم العدمية الكلاسيكية على الفور ولنتبنى مفهوم آخر أكثر إشراقاً وتطوراً

أما إذا كنا سنفكر عن ماذا سيحدث بعد ألف عام عندئذ يغدو كل شيء عدمي بالمعنى الفلسفي والنفسي للكلمة

بالنسبة لي أنا احاول أن أصل لذلك التأويل لمفهوم العدمية وربما تطويره على المستوى الشخصي عبر الوعي والإحساس بالجمال ليغدو أكثر نفعية ولا أدعّي هنا بأن قدمت إضافة عظيمة لنفسي بما وصلت إليه وإنما أشعر وحسب بتعقيدات الموضوع وخفاياه الجمالية و الإيحائية الآخاذة .

بعد مدّة :

في أعماقي لا أتمنى أن يكون الأشخاص مختلفين جذرياً عن بعضهم البعض لأننا دائماً نحتاج لحاضنة ترى نفسها وبالتالي تجعلنا نعيش ونستمر لكن من الجمال أن يشعر كل شخص منّا بشكل مختلف عن الآخر ومن ثم يقوم بتنفيذ ذلك

الشعور إذ من الإبداع أن يشعر كل منا بنوعية جمال خاصة ممكن أن تُترجم على أرض الحياة

من الرائع أن يكون الإنسان نرجسياً بطريقة تجعله يرى الإلهام الذي لا يراه الآخرون .

* ***

دائماً ما ينتابني الشك والريبة بألفاظ أسمعها على الدوام في وصف الأفراد المسايرين الاجتماعيين كمؤدب أو ذو أخلاق عالية -في الوقت الذي أشعر من خلاله بحجم الفساد في دواخلهم لكونهم مؤدبين حسب التصنيف الإجتماعي فهم مؤدبون ومهذبون مع بيئات تُرحب بهم وتثني على توجههم المجتمعي المستكين القاضي على ما يريدونه فعليّاً هم حرفيّاً الإفراز الأكثر سِلمَاً للبيئات الأكثر تلوثاً

إن غاية الفكر الحر هو تجنّب الغدر في كيفية فهم الحياة والذي لا ينسجم - قطعاً مع سطحية الآداب الجمعية التي تحاول مراراً أن تغدر بأصحاب الميول الفردانية المبدعة المنقلبة على ذاتها السلبية بالمقام الأول

*

: الشيء الوحيد المتجذّر في الإنسان هو تناقضه وغرابته

طرح التناقض ليس للتسليم بالإشكاليات المتطرفة داخل الإنسان وجعلها قدراً يفتك بالآخرين وإنما لفهم التباين المخزّن في العالم من خلال فهمي لتناقضات سلوكي

في الواقع إن نوعية الأشخاص الغير منسجمين إجتماعياً يعزّز التفكير بمثل هذا الطرح لأن التفكير به لذيذ وجدير ومُنهك بذات الوقت

أنا وأمثالي دائماً نقف عند الخط الفاصل بين عدم قدرتنا التواصل مع الآخرين من جهة ومحاولة التواصل مع ذواتنا من جهة آخرى

فليس أي شخص باستطاعته أن يكون الزعيم الهندي غاندي بدعوته للسلم واللاعنف وبوصفه بلا أدنى شك أحد أهم النماذج الرمزية في القرن العشرين والتي كرّست أفكارها واقعياً لكونه استطاع ترجمة أفكاره وتمرده على الصعيد الحياتي من خلال تبنيه مبدأ اللاعنف في مواجهة الإنكليز عبر قيادته الإستثنائية لإستقلال الهند عام 1947 بالرغم من أن غاندي نفسه قايض غير مرة على قِيَمه التي يؤمن بها وبطريقة مفاجئة نتذكر منها تأييده لفكرة مشاركة الشبّان الهنود مع بريطانيا أثناء الحرب العالمية الثانية)1939-1945(وهو الذي يرفض قتل ذبابة مثلما يشي إسلوب حياته وخلفية أقواله !

كذلك موقفه من طائفة المنبوذين في الهند كان ضبابياً أيضا وإشارة إستفهام كبيرة في تاريخه إذ هو مع اندماجهم وتحسين أوضاعهم الاجتماعية وتقبّل بقية الهنود لهم ولكن على أن يظلوا يعيشون بالمجتمع الهندي بوصفهم أقل من الآخرين بوصفهم طبقة منبوذين وكأنه قدر أبدي لا يحق لهم تغييرهم أو ربما تطويره

هذا الموقف يدعو للريبة فعلاً و يُعد بمثابة هوّة كبيرة في طريقة التناول الثوري لغاندي في محاولته تصحيح البيئة الإجتماعية للهند عبر تكريسه دون أن يقصد ربما الظلم والإضطهاد للطبقات الدنيا في الهند بدل من محاولة تغيير تلك البيئة والملفت أنه عانى شخصيا من العنصرية اثناء عمله كمحامي هندي في جنوب إفريقيا

نعلم أن الهند محكومة بالطبقات ومع هذا لا يعتبر ذلك عذراً لـ غاندي الذي من المفترض أنه جاء ثائراً على فكرة الطبقية والإضطهاد العنصري

*

إن تجربة النتاج المميز لشخصية مؤثرة مَا تختلف عن تمنّي التصرف المثالي الذي يضع النقاد أيديهم عليه ومع ذلك يوجد سلوكيات وقرارات مبهمة لا تقبل اللبس بشأن تسليط الضوء عليها مثلما موقف غاندي بموضوع المنبوذين وبموضوع تجنيد الهنود

مهما كانت الشخصية عبقرية وملهمة عندما تكون مجبرة على التعاطي السياسي لقضايا معينة فإن بريقها سيفتر وستتضائل فرادتها ذلك لأن الموقف المصلحي المادي السياسي يهدد نقاء الرسالة وجمال الفكرة الذي جاء شخصٌ ما لكي يعبر عنهما ويَصيغهما بعبارات وسلوكيات فذّةّ

والفكرة العظيمة إنما هي يتيمة لا تُطبّق إلا على أشخاص قلّة يليقون بها

يوجد الكثير من الفلاسفة بالعالم لكن الفلاسفة الحقيقيون قليلون ويوجد ثوريون لكن الثوريين الحقيقيون قليلون والفنانون يملأون الدنيا لكن الحقيقين منهم قليلون .

*

ليس هناك إنسان لا يخاف من أي شيء

ليس هناك إنسان نبيل بالمطلق بكل ما فعله في حياته

ليس ثمة شخص لم يَظلم أبداً في حياته كلها

إذا كنتُ أرغب فعلاً بالعدل فإن هذا يعني بما لا يقبل الشك بأني ظَلَمتُ في السابق أحدٌ ما بطريقةٍ ما

بالنسبة لي وبلا أدنى شك أرتكبت بعض الخيانات وسواء كانت صغيرة أم كبيرة لكنها تبقى خيانات وفحوى الإلحاد من وجهة نظري يكمن بأنه من المفروض أن يفهم المرء واقعية الأشياء وتناقضها دون التنازل عن المعنى الإيحائي اللطيف لوجود الإنسان

أنا لا أكون ملحداً كي أحتقر المؤمنين بل كي يشعر الآخر بأهمية طريقة تفكيري عندما تكون جديرة حقاً وبالتالي أطلب من الأخر أن يكون أكثر حساسية وعمقاً مع الفكرة التي يتلقاها من خلالي وأن يقيّمها من خلال تصديق إحساسه الشخصي وحسب وعدم الخوف من نتيجة ذلك الإحساس الذي يحرّض فكره لا أن يرمي وعيه ببئرٍ مظلم ومنسي يسعى بشكل أساسي لوأد فطرة التفكير عند الفرد والقضاء على رغبته في التمرد

يجب أن نصدق قلقنا ونحترمه لا أن نرميه جانباً ونخذله وحالة القلق بمعناها اللافت هي التفكير الجدي بأشياء قابلة للشك وغير قابلة للحسم

التوجه الإلحادي ليس إستعراض قوة لفرض تفوق فكري بمواجهة قاعدة مؤمنة من خلال تصدّير شعورٍ بالعنجهية كما هو الحال مع البعض وإنما هو إحساس عيش يبتعد عن الوهمي ليقترب من الواقعي وبطبيعة الحال لن يكون مشروعٌ أخلاقي شكلي وهو ليس دعوة لدينٍ بديل وليس بذي أهمية كعرض أو تسمية لكنه ذي كفاءة كإحساس وسلوك غير مبتذل بهدف الجرأة والإندفاع والإنقلاب على الموروث الهوائي السلبي والبحث عن اللحظة التي تجعل المرء يتقدم في الحياة

إن فكرة صراع الفرد مع قِيمَه من خلال وحدانيته تُفرز أفكاراً تحاول محاكاة عصرها بشكل يقترب من ماهية الوجود وواقعيته وكل هذا بفضل القدرة على العزلة السبيل الجبّار لاكتشاف العالم و هذا لا يعني بطبيعة الحال بأنه من غير الممكن اكتشاف الكثير من أسرار الحياة عبر علاقة حب عميقة مع إمرأة مثلاً

وثمة أمرٌ آخر يفرض نفسه بخصوص الحديث عن الوجود ومحاولة انخراط الإنسان به وهو طبيعة الشخص الجينية فالثقافة والفكر لن يفلحا دائماً في القيام بفعل التغيير إذ ثمة أشخاصٌ ملحدون باردون والسلوك الوجودي معهم يمنح إنطباعاً سلبي بكونهم غير مباليين ومتعجرفين يميلون إلى إظهار فكرهم عبر تعزيز شكل طباعهم بصورة فظّة والتصرف بسلوكيات تستفز الآخرين

فيما تجد أشخاصٌ عاطفيون متحررون من ضغط التفكير باللاهوت مقابل التماهي مع طبيعتهم المحبة المتعاطفة مع الآخرين وكذلك ثمة العديد من الأفراد المؤمنين يكونوا مريحين للآخر ولديهم القدرة على منح طاقة إيجابية كبيرة لمن يجالسهم

إذا كان ثمة قوة مدبّرة للكون لسنا متأكدين من أساس تكوينها ونختلف اختلافاً جذرياً على ماهيتها أو دورها فما الفائدة من الرغبة من الوصول لتعريفها وإسقاطها على مجمل سلوكيات الحياة أقصد الإغراق في التصادم في أمر غيبي لا نراه معاً أنا والآخر ولماذا على تلك القوة أن تدمرني وتعذبني بأبشع الطرق لأني لا أصدقها و لماذا على تلك القوة أن تترك كل أسرار ومعجزات المجرات والكواكب من أجل أن تتفرغ لتقييمي ومحاسبتي أنا الكائن الصغير الذي لا يساوي حتى غبرة في حياة هذا المجال الكوني الواسع !!!!

يخطر في بالي كم هو عدد الحشرات التي تنسحق يوميا تحت قدمي بينما أمشي في الشارع غير مكترث ومن دون أن أنظر للأسفل هذا مثال بات شائعاً

أنا لا أحتقر وجود فكرة الله في ذهن الذي يؤمن بها ولكن أُبغض - الخوف الكامن بين طياتها والذي لا يَنفك يضطهد جمال نكرانها

فكرة الموت بثقلها العظيم لا تنفك ترمي بظلّها لتعزز جدوى المفهوم الديني

لكن لنسأل أنفسنا بهدوء وبإستقلالية أليس أقرب للتصديق ولطبيعة الحياة مثلاً أن يتحلل جسدي بعد موتي ليغذي التربة والنبات والحيوان وبالتالي أتسبب بشكل مباشر وغير مباشر بإستمرار الحياة على الكوكب وبأن أكون ذا فائدة فعلاً مع أن هذه النتيجة لا تَهم المرء بعد موته أو حتى قبله لأنه لا يشعر بها أصلاً لكن ذلك يحدث لأني كنت محظوظاً وعشت يوم ما على هذه الأرض وهكذا دواليك بالمحصلة أجسادنا لا تغادر كوكب الأرض أحياء كنّا أم أموات عندها سيقول البعض إذاً تبقى أرواحنا وهي التي ستصعد للسماء في هذه النقطة لن ادخل في نقاش كي أحاول إثبات العكس لأني أعي بأن شكل القناعة في هذا الموضوع يأخذ طابع نسبي فالذي يؤمن بوجود الخالق يؤمن به لأنه يحس بذلك وحدسه يهديه لذلك الإيمان فيشعر بوجود من يدير حياته وحياة الآخرين والذي لا يؤمن مثلي يشعر ويحس بهشاشة تلك القناعة وبأن الإله الديني *غير موجود بكافة أشكاله*

إذ منذ البداية ليس الفكر من يقود لتلك الحقائق بل النفس والإحساس بعد ذلك يأتي دور الفكر ليغذي تلك القناعات المختلفة بناء على طرق مختلفة للتفكير لماذا قلت الإله الديني لأنه ببساطة عدم الإيمان بالإله الديني لا يعني أبداً بأن المرء الملحد بات مؤمنا بوجود الخالق في حال آمن بوجود قوة مدبرة للكون أو ما يُدعى بالمصمم الأول أو المحرض لأن هذه الدلالة وما تحمله من غموض لا علاقة لها بفكرة الإله بشكله اللاهوتي أبداً

فموضوع الإيمان والإلحاد ليس موضوع علمي وإنما فلسفي من الناحية الشكلية و حدسي إذا كنّا سندخل للموضوع من الناحية النفسية

وفكرة الإلحاد جاءت كَرَد فعل على الفكر الديني وليس على الفكر العلمي

فوجود قوة مدبرة فيزيائية للكون مثلا من عدمها إنما هي موضوع علمي لا علاقة للدين به على الإطلاق

الحقيقة ومع مرور الوقت باتت تضاءل أهمية النقاش بفكرة الإيمان من عدمه لصالح ما هو أعمق وأكثر فاعلية والمقصود هنا الإشكاليات الاخلاقية الكبرى التي تهدد حياة الإنسان وتقلل من جودتها

أدرك إن أي إنسان منّا يستمتع ويهفو لحالة استقرار ذهنية حتى ولو كانت شكلية أفهم أن كل إنسان منّا يحاول الحفاظ على أطول شعور بالأمان ولكن مشكلة كبيرة أن يكون الأمان هو نفسه اللاأمان ..اللاإنجاز ..اللاتحقق- هو نفسه الخوف الساكن المستريح حتى النهاية

فعليّاً ونفسيّاً لا أحد يكون ملحداً بشدة طوال الوقت ولا مؤمناً بشدة أيضاً طوال الوقت ثمة لحظات تراخي من دون أن ينضم أحدهما للآخر فالموضوع على الأغلب طريقة تفكير وإسلوب حياة ويقين

إن المعنى الأكبر لواقعية الحياة الإنسانية هي تلك اللحظة التي يستطيع كل إنسان فيها تجاوز لحظة خوفه الخاصة وهذا يحدث عندما يملك الشخص الشجاعة بأن يظل وحيدٌ لأطول وقت ممكن

وحيدٌ بمعنى القوة وشجاعة المواجهة مع الذات وليس بمعنى الضعف أو الإنكسار أو بمنطق الخوف من الآخر عندها ربما تسنح الفرصة للإنضمام للجماعة حسب الطرح السالف بالوقت المناسب وبهيئة جديدة وليس بشكل ببغائي

فكرة الإيمان لم تكن لتغدو بهذه الأهمية لو أن الإنسان يعرف بأنه سيعش ألف سنة

لماذا عليّ التذّلل للإله لكوني سعيداً بينما يُعذّب الآخرون ويموتون هنا وهناك ؟!

لماذا عليّ أن أشكر الرب لنجاتي من حادث سير فيما يموت غالبية ركّاب الحافلة

لماذا يجب أن يذهب شخصا دنيئاً جباناً بخيلاً يمارس كافة الطقوس الدينية

إلى الجنة فيما يذهب ناشطا حقوقيّا إلى الجحيم لأنه متهم بالمثلية !!!!!!إلجنسية

أي خوف عميق وعزلة صحراوية غير مثمرة تلك التي تجعل الإنسان ذليلاً لفكرة العبادة إلى ذلك الحد

من خدم البشرية أكثر من خدم الكائنات كلهم أكثر النظام الديني الذي تسبب منذ ظهوره إلى الأن بمقتل ملايين البشر عبر صراعاته الإيدلوجية والسلطوية الدنيئة أم مخترع مادة التخدير)البنج (في العمليات الجراحية الطبيب الأمريكي - وليم مورتون- الذي كان ولا يزال السبب في زوال الشعور بالألم لمئات الملايين !من البشر .....؟

: يتسائل أحدهم بأني أتكلم دائما عن المتدينين

حسنا ، لديك النظام الشيوعي السوفياتي سابقا هو أيضا تسبب بمقتل الملايين من البشر بينما الشيوعيون لا يعبدون الله ؟

سأجيب :النظام الشيوعي السياسي وهذا مهم هنا لا يعبد الإله لكنه يعبد فكرة إيدلوجية بديلة لا تختلف بالنتيجة عن نقيضتها لأنها فكرة تبرر على الدوام تصفية البشر كرامةً للمستقبل وللإنسان القادم وهو من وجهة نظرهم ما يبرر عمليات القتل

نحن نتحدث هنا عن تبرير سلب الحياة مقابل خلود الفكرة وهذا ما بررته الإيدلوجيتين السابقتين عبر تجارب عديدة

وكأن الفكرة تقوم بتخليد نفسها بنفسها !!هي تحتاج لأناس بطبيعة الحال . لبشرٍ من لحمٍ ودم يعبرون عن خلود الفكرة

: بعد أيام

لقد عرفت شباناً في بداية العشرينيات من عمرهم لا يفتأون يفكرون بالإنتحار ويذكرونه كثيراً استناداً على أنهم مكتفون معرفياً ومشبعون نفسيّا وعليه ليس

ثمة إضافة حقيقة ممكن أن تقدمها لهم طبيعة الحياة أو تجاربهم اللاحقة حسب تخيلهم أو اعتقادهم فالزمن والواقع بالنسبة لهم سيكرر نفسه ومشاعر السأم ستتجدد و ربما تصبح أشد فتكاً من سابقتها

بالنسبة لي أُدرك بأنهم ليسوا بأشخاص فارغين أو معدومي الرؤية أو أنهم لا يملكون الإحساس بهويتهم كأفراد هم ببساطة أفراد قادهم

تفكيرهم لهذه النقطة وبذات الوقت ليس لديّ أدنى شك بأنهم غير جديين بحديثهم عن الانتحار إذ كلنا عندما نتحدث بهذا الشأن نتحدث بمنطق الرفاهية الفكرية وليس بناء على خلفية نفسية معقدة سأمت من تعقيداتها ومن إحساسها المتفاقم بالسأم والقرف وانعدام الشغف بصرف النظر من أن تلك المشاعر تتملكنا في عديد الأوقات فالانتحار غير قابل للتفكير الممنهج الواضح لكي يحصل وإنما هو تصرف لحظي يحصل نتيجة تكسّد مشاعر من نوع خاص جداً ومع ذلك من غير العدل أن تأخذ كلامهم أي إولئك النماذج على محمل السخرية لأنهم يشعرون فعلاً بالضجر والقرف ونفاذ الطموح وأنا كذلك أشعر في كثير من الأحيان بمثل شعورهم وربما أكثر ولكن لم تتبلور لدي أي نية بالانتحار لحين كتابتي هذه الكلمات

لماذا أعيش ؟ لأنني ببساطة لا أملك خيار آخر يجب أن أعيش وأنسجم مع طريقة تفكيري التي لا أعرف أين ستقودني وفي ظل هذا أكون مستمرٌ في البحث عن هويتي كفرد وكإنسان يريد أن يعرف على الدوام *يعرف وحسب *ولكن يجب أن أمتلك العزيمة التي تجعلني أؤمن أنا وأولئك الشبان بأن لحظات السأم لا تعني منافسة رغبة البقاء المتجذرة داخل الإنسان بل إنها إفراز مزعج ومخادع لرغبة البقاء فالمنتحر ليس جاهزاً للانتحار في كل مرة **ولكن ما أتكهن به لاحقاً أنه سينشأ شعورا خاصا بالإنتحار**

أولئك الأشخاص المعلقين العاجزين عن القيام بفعل خير أو شر

و الثقافة الإنسانية الجديدة وخاصة في المجتمعات المتقدمة ذات البيروقراطية الإدارية المتسقة إجتماعيّاً ستمهد لهذا النوع من السلوك إذا ما بقيت على حالها

فالشرير لديه دافع للاستمرار و الخيّر لديه دافع هو أيضاً ولكن الذي في المنتصف والذي يعرف أن بإمكانه القيام بالأمرين ببساطة فيما يشعرعميقاً بتفاهة القيام بهما هو الذي سيفقد الرغبة بالحياة تدريجياً ويبدأ يفكر بالانتحار والمنتحر حسب حدسي

ذاك الذي يفهم الحياة ولا يمتلك شغفهاً بل يشعر بسطحيتها وفراغها الكامن ذاك نظراته جامدة ، ضحكته نادرة ، وطبعه كامن يستثير البقاء

هو من يليق به أن يظل على قيد الحياة لكنه ينتحر

هناك نوع من المنتحرين لا تدمرهم غُربتهم بل عدم قدرتهم على الحب بالطرق التقليدية إنهم يكتوون بالتعلّق والتعاطف الغير محتمل والغير مفهوم

حديثي هذا لا يعني بأنه سيكون ثمة جيوش من المنتحرين مستقبلاُ

وإنما هو تفكير آخر وبصوت عالي لما يمكن أن ينتجه فخ التثقيف الإقتصادي السياسي الرأسمالي بطبعه وتكوينه المتعجرف بجعله إسلوب حياة في كل أوقات اليوم إن قدرة ذلك النظام الإقتصادي تكمن في قدرته النافذة على حصار رغبات الإنسان الإغال في تنظيمها ضمن بوتقته الحضارية فيما تنشد تلك الرغبات شيءٌ من الفوضى أو الجموح إن جاز التعبير فيفرز ذلك التنظيم نتيجة عكسية تسودها المشاعر السلبية المنهكة والتي تظهر بالتقادم عبر الزمن ومرور الأيام .

بالنسبة للأشخاص الذين يرغبون بإنهاء حياتهم بسلام عن طريقة الموت الرحيم بعد أن بلغوا ما بلغوا من العمر وبدأت الأمراض تداهمهم ولم يعودوا قادرين على السير في الشارع او الإستمتاع بلحظات كانت أساس يومي لحياتهم لماذا لا يحق لهم في هذه الحالة إنهاء حياتهم بهدوء وبغير ألم ؟

إن كان العالم ينادي على الدوام بأن يكون المرء حرٌ في خياراته فلماذا نستكثر عليه أن يكون حراً في إنهاء حياته بالطريقة التي يراها مناسبة

لماذا نطالب الناس أن يكونوا أحراراً طوال حياتهم وفي أكر لحظات حياتهم حساسية وفي اللحظة الأخيرة التي من حقهم أن يكونوا احراراً نطالبهم بالتراجع !!

لماذا نفضّل أن يظل الشخص يتألم طوال الوقت بينما هو يرفض ذلك مقابل شعورنا بالراحة من بقائه حيّاً !!!أفهم الهاجس المهول المرعب المحيط بفكرة الموت لكن يجب ان يكون ثمة فهم وإحترام لرغبة الطرف الآخر

انا أيضا فقدت أحباء لي وبصدق كنت أفضّل أن يرحلوا على أن آراهم يتألمون طوال الوقت مع أني أعرف اليوم أن غياب أحد أحبائي المقربين سيجعلني ضعيفاً وحزيناً وسيؤذيني بالصميم لدرجة ربما لا أستطيع تحملها

*

أشعر باللاعدل من أولئك الذين يعيشون بطريقة تقليدية وفق تشريعات المجتمع ويحصلون بذات الوقت على امتيازات الحياة الكريمة وراحة البال

بالطبع لا أحب أبداً أن أكون مثلهم من حيث المبدأ والانطلاقة ولكن يزعجني مشاهدة آلاف الأشخاص المميزين أصحاب الإمكانيات يذوون تحت نير الفاقة والرفض فالمجتمع لا يقبلهم ولا يفهمهم وهُم لا يستطيعون الإندماج وبذات الوقت لا يستطيعون العيش مثل الآخرين مثل الدارجين العاديين ثم أفكر لماذا ؟ ما الحكمة من أن أصل لحافة احتياجي بحثا عن مصدر عيشي أو أن أضطر للعمل بمكان لا أحبه ولا أؤمن به

أفهم أن الحصول على حياة مرضية تماماً يُعد مسألة نسبية وأن الحياة غير عادلة في كثير من الأوقات

وأنه يجب عليّ أن أعي ذلك التناقض الحياتي ولكن أحيانا لا تستطيع أفكارنا أن تتجاوز مشاعر النقص فينا وأن تتغلب على المفارقة الكامنة في حقيقة ما نشعر به

أنا لا أنوي التخلص من مشاعر النقص بداخلي لكنني أرغب أن أعيها وأتفهمها مع الزمن وأبعُدها عن التصادم المجاني الرخيص

ثم أفكّر أنه ضمن المجتمعات المنظمة أي كائن يستطيع أن يكون مادة حياتية متعيشة متأقلمة ولكن ليس أي أحد يستطيع أن يكون نَفسَاً حياتية تواقة ولغزاً جميلاً رفقة الأشياء المحيطة

أي الاحتمالين تتقبلهما طبيعة الحياة إذا ما أدركنا بأن أحد الطرفان سيحكم وجود الآخر فإن طبيعة الحياة تتقبل المنظّمين الرتيبين وطبيعة الفن تتقبل الهائمين الإستثنائيين

إولئك الإستثنائيون من المحتمل أن يكونوا عظيمين دون أن يُدركهم أحد أو يسمع بهم أحد

هم يصدقون أحلامهم ودفاعهم المستميت طوال الوقت عن مشاريعهم الشخصية مهما كانت تلك المشاريع صغيرة أو غير مرئية للآخر

هم يفتخرون بأنفسهم بالرغم من كل الإحباطات والرفض والمعاناة

. إنهم بالفعل بشرٌ حقيقيون ويستحقون أن يشعروا بالفخر

لعبة خطيرة أن تمضي حياتك بينما أنت تدافع عن تفاصيلها وعن الأشياء البسيطة التي تفتخر بها بينما يريد الآخر سلبها منك أو تحجيمها بطريقة أو بآخرى

بالنسبة لي أمضيت حتى الآن غالبية حياتي وأنا أدافع عن أحلامي وهواجسي وشغفي أولاً

وعن سطوة المجتمع والدولة والسجن والمعتقل ثم استمر بالدفاع أما القضاة وأمام محكمة اللجوء وأمام الغُربة وأمام تكتلات القطعان السخيفة ذات النظرة الضيقة

ومن ثم أقاوم تراجع جسدي من خلال جسدي نفسه عبر طبقة آخرى من الجسد نفسه وأقاوم تعقيداتي و أمراضي النفسية عبر مساحة آخرى من نفسيتي ذاتها بشكل أقوى وأشد فاعلية وبين ذاك وذاك تجتاجني على الدوام رياح قوية متفرقة ذات طابع صدامي من الإخفاق والبهجة

وبالرغم من احتمالية أن يكون الدفاع المستمر نتيجة ضعف ما أو ثغرة ما أو قلة حيلة في بعض المواقف فإن هذا لن يكون عائق بأن أصل

ليقين بأن الدفاع بتلك الطريقة المستمرة إنما هو هجوم طويل وارتجالي فطالما أنت تعزز حالة الرفض لديك فإنك بهذه الحالة تهاجم

نحن نهاجم عندما لا نتقبل الهزيمة من المجتمع ومن التكتلات المريبة

وذلك عندما نصر على تنفيذ ما نحن مقتنعون به هذه ليست رفاهية بطريقة التفكير وإنما هي إسلوب حياة يحتاج للشغف والعاطفة واللامبالاة تجاه تقييمات الآخرين ويحتاج أيضا إلى تعريف لماهية ذلك الهجوم المتخفي

وذاك التعريف هو نفسه المشروع الذاتي النفسي الشخصي المتفاعل على الدوام

ربما ذلك المشروع يكون بكل تفاصيله مجرد عزاء لذاتٍ لم تصل لمرادها بعد - ومع ذلك تظل عزاءً مشرّف .

تاريخ :

أسأل نفسي :

لماذا أكتب ؟ !!لماذا أكتب مثل هذا الكلام !!هذا الكلام الهذياني في بعض مواطنه

بماذا ينفع ؟ بماذا يفيدني أو يفيد الناس !

بماذا يفيد :إنها جملة عدمية من الناحية السلبية وعديمة الأهمية لكن المرء يهذي أحياناً

لأنه يريد أن يهذي أو أن يُخرج اعترافٍ ما إلى العلن

إن فضح الفكرة عمل تنفيسي لذيذ إذا ما صيغَ فنيّاً بطريقة لائقة وجذابة

أنه ذلك العبء الفني المتراكم على أكتاف الموروث الثقافي الهائل والجبار للجنس البشري

بالواقع أنت مجبر أحياناً أن تتحدث عن نفسك وكأنك الوحيد على ظهر الكوكب

أحياناً يكون هذا الأمر للبحث عن مساحة أعمق للتأمل والجمال خاصة عند الأشخاص المرهفين لكن الحقيقة أنه كلما تأملت نفسك بشكل أعمق كلما تلاشى خوفك من مصيرٍ ما

إن الإنسان يمضي عمره وهو يتدرب على مواجهة مصيرُ ما

النصف الأول من الحياة نتعلم كيف نعيش ونتعلق ثم بعد ذلك في النصف الثاني مع تقدم السن تبدأ محاولة التقليل من وطأة لحظة الزوال القريبة البعيدة

عبر تلطيف الأفكار وجعلها أقل فتكاً من ذي قبل وتحجيم العداءات التي لا تجدي نفعاً

كل قوة نجنيها من لحظات الحياة هي لمواجهة قوة أكبر وهذه القوة الأكبر ليست بالضرورة ان تكون مرئية أو حزينة إنما هي قوة وحسب

– جامحة متأصلة ومتناثرة تهوي في لحظة من اللحظات –ربما هي نور

ربما هي كابوس ثقيل

.. أه في هذه اللحظة فقدت القدرة على الوصف

لكن ما سبق يقودني للإنسان الحسّاس ذي النكهة الذئبية و الذي يجب أن يكون مفكراً ذا جسد رياضي رشيق بطبيعة الحال يراقب ويشم كل ما يدور حوله ..

الشخص الحسّاس المفكر إنما هو شيء عظيم والحسّاس الذي أعنيه هو المزيج بين الرجل والمرأة هو ذاك الذي بفطرته يكتشف الحب وبعاطفته يكتشف الخُبث

البشر الطيبون والأذكياء في ذات الوقت قليلون ولكنهم النماذج الأكثر روعة

الحسّاس ذو النزعة القوية هو صاحب الإرادة وليس صاحب العاطفة المتعبة المسايرة للمشاعر الإنسانية الشائبة الغير واضحة

تلك المشاعر القلقة الخائفة والتي يكون دافعها بالتعاطف مع الآخر إنما هو خوفها العميق على مصيرها الكئيب والرغبة بإبعاد الأذية عن نفسها من خلال التماهي مع مصيبة الغير.

النموذج الحي الأقدر هو الذي فيه صفات الرجال والنساء هو الذي بإمكانك تخيله رجل وإمراة في ذات الوقت .

نفس اليوم مساءً:

محطات انطلاق الأتوبيس)الكراجات (هناك حيث الإيقاع الحيوي السريع لحركة البشر فالكُل يحاكي الكُل بنزقٍ وبسرعةٍ وبحزمٍ

صوت الوتوتات والدعوات للركوب لا ينقطع من حواليك

أعشاش من المسافرين على الموعد

في عيون السائقين تشعر بذلك القلق المادي للحصول على العَيش وفي وجه المسافرين ترى الرحلات ..

أخلاقيات أهل المدن وطباعهم يكشفها ذلك المكان

الكراج نفسه يهمس بأذنك عند دخولك إليه :لا تهمني ثقافتك أو مرجعيتك ها هنا واقع الحياة ورغماً عن أنفك ستنطلق عبر هذه المساحة بالذات لتحقيق مشاريعك وتشكيل نماذجك المتنوعة البّراقة

الذاكرة الطفولية:

لا أستطيع الاستمرار بدون التفكير بالذكريات

ذكريات الطفولة والمراهقة وكل فترة من فترات الحياة أنا كائن نوستاليجي بإمتياز وهذا يبدو طبيعي بالنسبة لشاعرٍ

أشعر بحنين لذيذ إلى الماضي مع أنني ربما لا أكون مرتاحٌ في اللحظة الراهنة لكن عندما تمضي أتذكرها بشوق كبير بالنسبة لي هذا يمثل دافع كبير للحياة فأنا لا أفكر بالماضي كي أبتعد عن نفسي بل كي أقترب منها قدر الإمكان فلطالما

تغذت دوافعي من تلك الذكريات بخيالاتها الشفافة الرقيقة وتأثيرها الإنسيابي اللذيذ

كنت دائما أنظر للأشخاص الذين ينسون تفاصيل ماضيهم بأنهم يفتقرون للحظة الإنسان الخاصة إنهم يغرقون بتفاصيل الحياة ومشاكلها اليومية أنهم ينسون اليوم الذي سبق

وماهم عليه إنما هو الإنسان الذي أخشى أن أكونه

فالماضي عندي ليس لأتذكر هزائمي وإنما لأفهم وأستمتع بالإنتصارات التي ربما أحققها اليوم .

والشتاء ..الشتاء اللغز المحّير للذاكرة المشحونة بالحنين

الشتاء في الأحياء الشعبية له طعم خاص يختلف عن الأماكن العصرية المفتوحة له رائحة له طعم الذكريات الخاصة والمتعلقة بعيون الأطفال

وهو شريك حقيقي لعشرات التفاصيل اليومية المتعلقة بالفقراء هناك في الشعبيات حيث العائلات المهاجرة من أصول ريفية تبحث عن موطئ قدم ومستقبل متماسك في الأعشاش الإسمنتية الغير متماسكة فيغدو المطر متواطئ مُريب مع مشاكلهم ومع لحظاتهم الخاصة

في الشعبيات الإسمنتية تغيب الشمس وفوق مداخن البيوت العتيقة يهطل المطر الشاهد العظيم على الإرث الطبقي

المدرسة في الطفولة أتذكرها دائما وأبداً وهي شاهدة أيضاً على المطر لأن قسماً منها كان غير مسقوف

كانت بيتاً كبيرٌ لأطفالٍ صغار أمّا المُعلمات مُعلمات منتصف الثمانينيات من القرن الماضي اليوم وبعد مرور ثلاثين عاماً أعرف كم كانوا قاسيات وصلبات وعديمات الرحمة مقابل لحظات قليلة من الحنان المصطنع

إنهن إفراز من إفرازات النظام الديكتاتوري كانوا ضحايا وكنّا ضحايا مثلهم وتلك الفتاة ذات الست أو السبع سنوات ما زلت أتذكر ملامحها الصفراء من الخوف ومريولها الخاكي وكأنها اللحظة تماماً وكيف اقتادوها لما يسمى غرفة الفئران بينما كانت تصرخ من الرعب

ذلك البيت الوهمي المخصص لترويع الأطفال

.. يا للهول كل هذا كان يجري في مدرسة حكومية للأطفال

قمة الذل أن نسامح ونتناسى ونحن ما نزال حاقدين

وذاك الترويع هو نفسه ما علمنا إياه التاريخ السياسي للبلاد القمعية المخصية إذ ليس ثمة شيء محدد تحقد عليه فعمليا كنّا نعيش وسط سلسلة من الإهانات والتنازلات التي نتلقاها يومياً ثم ننساها بعد لحظة شئنا أم أبينا والمصيبة حينها أن الإنسان المواطن كان يظن نفسه طيباً لأنه ينسى ويسامح بينما في الحقيقة كان جبان وعاجز وغير قادر على المواجهة – مواجهة النظام السياسي السام

النساء المِلكَات :

أشعر بحزن خاص تجاه النساء العانسات إولئك اللاتي يمضين عمرهن وهن يغسلن الأواني وينظفّنَ المنازل في بيوت ذويهم ولا يرتدين في غالب الأحيان فستانٌ جديد وفي الحفلات والأعراس والتي هي ليست كثيرة تخرج العائلة بالكامل ويبقين حارسات للمنزل

لا أحد يطرق باب عائلاتهن للزواج ويكنّ على الأغلب أكبر أولاد العائلة إنهن خادمات وحسب لبقية أفراد الأسرة !؟ وفي النهاية يفتك بهنّ مرض عُضال ويَمتن ، نماذج عديدة أتذكرها على هذا الصعيد ثلاثة منهن قضين بمرض السرطان

عندما كنت صغيراً لمّا كنت أزور أحد أصدقائي أو أقاربي كنت أشعر بأن هاتيك الفتيات الكبيرات مختلفات عن بقية ما أعرفه من العائلة ولم أكن أستطع تفسير مشاعري حينها و اليوم لَكم أشعر بالمهانة والحزن لأجلهن إنهن يَمتن من السكون والحسرة والشعور بالبهاتة و بأن لا شيء مفرح في هذا العالم

مأساة كبيرة أن تكون حياتي مجرد خيار لدى الأخرين

بالنسبة لي لا أشعر بالشفقة على نفسي فعندما تقرر مصيرك شيء وعندما يختاره لك الأخرون شيء آخر

لدى النساء قدرة كبيرة على مجابهة المحن وصعوبات الحياة مضافٌ إلى شعوري العميق بقدرتهن على الاحتضان ومع ذلك أظن بأنهن كائنات صعبات المراس مثل الرجال عموماً

بصورة عامة النساء مميزات أكثر من الرجال فالرجل المميز قليل من نوعه بينما كل امرأة في ظرف ما بإمكانها أن تكون مميزة وملفتة ففي داخل كل امرأة فطرة جاهزة للتميز والسحر لأن في قلب كل امراة

سرٌ عميق لا تقوله لأحد ويتبخر بموتها وذاك السر لا ينفك ينثر ظله المُهيمن طوال الوقت حول الرجال

الحقيقة علاقتي مع النساء مُعقدة وشائبة بالرغم من حضورهن الفتّان في تاريخي النفسي في كثير من الأحيان أخشاهن وأخجل منهن فالنساء كائنات غريبة وجميلة

أحياناً أرى أنهن من السحر ما يجعلني أخشى الاقتراب منهن وبأني أفتقر للثقة أمام جمالهن وبأن الإضطهاد التاريخي الذي تعرضن له يظهر مزدهراً في عيونهن المعذبات المعبِرات

بينما أنظر مع البعض منهن بأنهن لا يستحقَقن السعي خلفهن وأقول في نفسي إنهن ثرثارات وسطحيات وسحرهن الذي يقلب الدنيا سيظل أسيراً لنظرتهن الشكلية ..

ربما لست الشخص المخول للحديث عن النساء لكن ما أشعر به أنهن مثل الرجال في قدرتهن على الاستفزاز ويمتلكن نزعة صبيانية بخصوص الخديعة .

*

أتعاطف جديّاً وفي أحيان كثيرة مع المناضلات النسويات وكنت قريباً من الكثيرات منهن في فرنسا ومصر والمشكلة في العديدات منهن بأنهن يتمردن على كل شيء في إطار تمردهم على الفكرة الذكورية فيقمن بالتمرد على أنوثتهن

نفسها بغرض التمرد على الهيمنة الذكورية وبالتالي يمارسن سلوكيات نجدها في العادة عند الذكور !

المفروض إنكِ تتمردي على الهيمنة الذكورية بهدف تكريس حقك في التعبير عن أنوثتك وليس التحدي بالطريقة الشكلية السطحية كإعتبارك السلوكيات الأنثوية الدارجة بأنها أشياء تافهة مثل ممارسة الطبخ أو وضع المكياج أو عدم وضع حمالة نهود أو قَص الشعر الطويل وهذه سمة تتشرك بها الكثيرات من الناشطات وكأن الشعر الطويل للمرآة بات عار على الطبيعة الانثوية وأن جمال المرآة أصبح عَالة !

وأيضا هناك عدم النظافة الشخصية وهذه سمة كنت أراها كثيراً في مجتمع الأناركيين الذي أعتبر نفسي قريب للغاية منه و ربما أنتمي إليه من حيث الجوهر وأتقاطع مع الكثير من سلوكياته وأفكاره

وكنت أشاطرهم آرائي تلك

بالنتيجة أنا أقوم بالطبخ لكي أطعم نفسي وهذا شيء طبيعي كما أني أهتم بمظهري مثلاً لأشعر بأن مرتاح ومقبول بالحد الأدنى و ربما أيضاً لألفت نظر إمرآة تروق لي فأنا مثلاً مستعدٌ لفعل الكثير لأرى حبيبتي مبتهجة وراضية ولا أعتقد أن هذا يعيق جوهر مقاومتي تجاه مسألة ما

المشكلة في هذا الشأن تكمن أن تلك السلوكيات باتت تعتبر كركيزة أساسية لتعريف النسوية على حساب الفكر والثقافة فتجد العديدات منهن يحتفظن بتلك السلوكيات كقشرة خارجية بينما لا يمتلكن منهج فكري ناضج

من الجميل أن يكون لدي طريقة عيش شجاعة أو إسلوب حياة معين لكن علي أن أعي أولا لماذا أنتهج طريقة العيش تلك

أنا أفهم أنه في الكثير من الأحيان على المرء أن يتصرف بشكل راديكالي كي يؤكد على فكرته بهدف تكريسها بطريقة أعمق أنا أقوم بذلك أحياناً لكن الفاعلية في هذا النهج تكون في ظروف معينة ولحظات محددة بعينها لا أن يطغى السلوك على الفكرة لتغدو تدريجيا مجرد تعبير عن حالة شكلية ويختفي المضمون

في الحقيقة وعلى نطاق واسع المرآة هي أجمل شيء في الوجود والأكثر قدرة على تحريك وتحريض الدوافع عند المرء لكن على المرآة نفسها أن تصدق هذه الحقيقة ولاتنساها من خلال تبديلها لتفاصيل تقلل من جوهر فكرتها ولا ترتقي بها

النخبة المثقفة :

النخبة المثقفة المعاصرة من كتاب وصحفيين وشعراء متوسطي الموهبة

إنهم نديّون مُدّعون للثقة ومتعجرفون وأصحاب رؤية دون أن يكونوا أصحاب موقف جاد أو حساسية صادقة تجاه الأشياء

الشيء الوحيد الجدّي في سلوكهم هي غِيرتهم وحسَدهم ونزاعاتهم الضيقة الغبية من بعضهم البعض عندما كنت أتردد على سهرات الأدب وأشارك في الأمسيات الشعرية وهي مشاركات معدودة كنت أراقبهم يمرحون ويمزحون مع بعضهم البعض بفجور وفظاظة تلك المناورة الباهتة فيما بينهم كانت واضحة بالنسبة لي كانوا فارغين من حيث الجوهر

حتى وإن كانوا يمتلكون بعض الموهبة بالكتابة أو الشعر فإن هذا لا يعني لي شيء

تلك النوعية الغير قادرة والمخادعة عن قصد أو بدونه يصعب عليها رؤية الموهبة القادمة والبذرة الحاملة للتميز باستثاء قلة منهم لا تكاد تُذكر ويصعب عليها حسم توقيت رفضها لواقعها والتحول لواقع آخر عندما يكون الموقف جادٌ وأقرب للحسم ..

من يومها احتقرتُ تلك الأماكن و لم أعد أتردد عليها ورويداً رويداً بدأت أفكّر بالانتقام من السلطة الباغية بوصفها المسؤول الأول وفعلت ذلك بطريقة ثورية بالتنسيق مع صديق لي كان يفوقني إقداماً

آنظر من الطرف الآخر للنخبة الثقافية الحكومية الرسمية فأرى مجموعات عُصابية محاصرة نفسياً تفتقر رغبة الاندفاع والجدية بينما تجد تعبيرها الذاتي في ذاك الجو النقاشي الانفعالي المنفّر والغير معبّر فيما أحد رفاقهم من أصحاب الرأي الذي يفوقهم شعوراً ونزقاً يكون مرمياً في سجون الاعتقال

تلك النُخب ليس من بينها مثقف حقيقي واحد مندفع بحق إنهم متعّيشون وحسب فالتمرّد ورفض الظلم والإبتزاز جزء لا يتجزأ من شخصية المثقف الحقيقي الذي هو عملة نادرة بطبعه

والتنظير الفكري لا يساوي شيئاً إذا تراجع أمام حاجته للحظة تمرد حقيقية

عندما يكون وجود الحالة الثقافية شكلياً فإنه يعزز دور النظام الديكتاتوري ويكّمله.

*

مرة أخرى لماذا أكتب ؟ أو لماذا نكتب ؟

لكي أشعر بالإشباع الذاتي ؟ أم لأني مقتنع بقدرتي على تغيير شيءٌ ما عبر القلم ؟ أم لكي ألفت نظر العالم لأمرٍ ما لا يرونه جيداً - لحقيقة ما– تفكير ما ؟ أم ! !لكي أحصل على إعتراف لكونيِ كاتبٌ موهوب مثلاُ ؟ !أم لكل تلك الأسباب ؟

: لماذا أكتب

. لأني أريد أن أكتب وحسب

حتى لو كنت كاتبٌ هاوي ومُزمن كما أنا عليه

وأكتب أيضا كي أشعر بأن شيءٌ ما يتغير في داخلي ويمنحني دافعٌ ما إلى الأمام

عموما ربما نكتب لأن كل إنسانٍ يسعى لفهم حقيقة تناقضاته وتفسيرها

منذ آلاف السنوات عند بداية الإنسان الأولى لم يكن ثمة لغات ممنهجة بين البشر فاللغة الوحيدة المتداولة بينهم هي لغة العيون أعظم لغة لا يتم تحريك الشفاه بها وبعض الأصوات والصراخ والإيماءات وايضاً الحركات الجسدية بكل

تأكيد أيضاً لها مكانتها ومن بعدها ظهرت النقوشات والحفريات وبهذا الخصوص لطالما تساءلتُ كيف نشأت اللغات ؟وكيف نظمت بهذا الريتم السريع إنه أمرغريب حقاً ؟!!!!!

*

إذا أخذنا فن التمثيل مثلاً فإننا نجد بأن الكثير مما قدمه التمثيل الناطق لا يضاهي كأساس جوهري وركيزة فنية ما قدمه التمثيل الصامت من خلال الممثل-شارلي شابلن- وحركاته الإبداعية ببعديها النفسي و الجسدي

يبدو أن اللغات تحاكي الخارج تحاكي الحركة الحاضرة أما العيون والجسد تحاكي ما خلف الستار وما يعتمل في النفس من حزن وجمال وأمل إنها تحاكي الخلود والزمن البعيد والبعيد جداً والقابل للمقايضة بذات الوقت

المسرحية الدرامية تشعر بأنها عُملت لهذا الزمن ولمشاكله أو ربما أبعد بقليل أما الباليه الراقص فتشعر أنه وُجد ليتوقع أحداثاً غارقة بالشغف والهواجس ومنبع جمالها يكمن بأنها ربما تحدث وربما لا

بالنسبة للموسيقى فإنك تحسّ معها بدقات بداية الخليقة ونهايتها إنها من أعظم الأشياء التي حدثت في تاريخ البشر

حقاً لماذا نكتب ؟

ربما كي نظفر يوماً بتلك الحياة الغالية الخلّاقة ذات النصف حلم والنصف واقع لكن هدفنا الأساسي دوماً هو أن نصل لذروة الإحساس الأول للإنسان البدائي الغير متحضر والغير تقني والذي لا يعرف شيئاً إلا أن يحرّك عينيه الوحيدتين المتفاهمتين ضمنيّا وحسيّاَ

لو فكرّنا ببساطة ولوهلة بظاهرة الفن الأدبي عموماً

سنجد أن أعظم مقولات عمالقة الفكر والأدب والتي تستحق التفكير والتأمل والتي نتأثر بها ونستند عليها في كثير من الأحيان كمرجعية صارمة وموثوقة قد كُتبت في لحظة كتابتها في جوٍ من الدفء والراحة والإستقرار وليست في جو

من التوتر والحزن لذلك عندما نتشبث بمقولة علينا أن نتذكر أصل ووقت كتابتها خصوصا إذا كانت تصدّر إحساسا سلبيّاً ومُحبطاً

من أجل ذلك أشعر في كثير من الأحيان بأن فعل الكتابة مهما كان جميلاً وجذاباً هو فعلٌ شخصي وباطني لأنه يمّثّل ظل النفس وبالتالي هو محتالٌ ومؤقت بالنسبة للشخص الذي يكتب لكن روعة وجمال ذلك الفعل يكمن في كونه يسمح بأن يتحول بلحظة أو وقتٍ ما إلى شيء مَهول ومتفجّر ودافع هائل للتغيير وعندما نفكّر على هذا المستوى نحن الكتّاب المزمنون نشعر بأمل وبلذة عظيمة من كوننا نجيد الكتابة

بعد يومين :

في هذا العالم ثمة حزنٌ غير عاقل يفوق الفكر و الرؤية

غائرٌ ذلك الحزن وغير مرئي

. هو حزن خفي يغذي المشاعر المرحة ويحرك قوة الكائنات

مقتطعة من الديوان النثري :حكايا العيون

أعتقد بأن الفقر شريك في جزء من تلك الجملة بسبب كثرته في العالم

ربما من الناحية الفنية قمتُ بتقزيم الصورة وتسطيحها عندما أجعلها قريبة من حالة مادية معاصرة ولكن بالنسبة للأشخاص العاديين الحزن هو أقرب شيء للفقر وبالنسبة للموهوبين هو أقرب شيء للتأمل لأن له علاقة بِبَهَاتة حالة التقشف المادي مقارنة بانفلات المشاعر الخاصة نحو أفقها الحالم المتألق

كإنسان يفكّر لا أنفك أشعر بأن ثمة هوة غير مفهومة بين الإنجاز البشري المتصاعد تقنياً من ناحية وبين أعداد الفقراء المروع من ناحية أخرى وما سوى ذلك فإن كل تبريرات الاقتصاديين والمتحذلقين لن تقنعني بأن وجود الفقر

المدقع حسب حجتهم أمرٌ منطقي قياسا للأعداد البشرية الموجودة على ظهر الكوكب هذا إدعاء واهن وشرير وسيء النية

إذ أن أكثر من نصف اليابسة فارغ من السكان في الوقت الذي أغنى مئة شخص بالعالم يستطيعون إعانة مئات الملايين من البشر

ربما يكون رأي أحد هؤلاء الأثرياء بأن على الإنسان أن يتعب ويطور ذكائه كي يخرج من حالته القدرية المزرية

ولكني أتسائل هنا أيعقل أن هذا العالم لا يسير مزدهراً إلا بوجود فقراء لا يأكلون إلا وجبة واحدة في اليوم وأحياناً نصف وجبة وأحياناً لا يأكلون أبداً كما هو الحال في بعض في مناطق إفريقيا أو في مناطق عديدة في البرازيل والهند مثلاً

.. أي عار على العالم هذا الذي يحصل

أنا مؤمن بأن الفقر المدقع شيء شرير ويجب أن ينتهي وأنه يخلق أناسٌ ناقمون ويجب أن ينتهي

إن الفكر الاقتصادي السياسي العصري الليبرالي المتلون والمُدعي فهمنة يتذرع دائماً باحتمال اندلاع الحروب الاقتصادية القادمة في تبريره الغير مقنع للُرخص السطحي المخيف الممتلئ قسوى وإجحاف استثنائيين تجاه الأشخاص في الوقت الذي يقوم به النظام المالي المعاصر بطابعه الرأسمالي أو الليبرالي بتكريس التفاوت الطبقي وتعزيزه بطريقة بطيئة وشديدة الحذر والتخفّي

*

غالبية الفقراء يخشون الفرح تقلقهم حالة المرح المتواصل

إذا ضحكوا كثيراً يستشعرون قدوم خطرٍ أو شرٍ يصيغونه بمقولات شعبية

ولكن أيضاً ليس السبب الاقتصادي وحسب من يسبّب الحزن إن ثقافة الإنسان في مجملها تبحث عن الحزن

إن التراث والطبيعة الخضراء وصوت أزيز الحشرات يسبّبان حزناً شفافٍ أيضاً

الإنسان بأحساسيه الأصلية النقية الغير ملوثة حضاريّاً على مستوى المنظومة الإقتصادية يبحث عن الحزن الشفاف أكثر من بحثه عن السعادة لأن الحزن في ذروته المناسبة إنما هو جزء من السعادة الغير معلنة ؟ !!

بعد يومين :

كل يوم أمشي وأفكر وأهذي داخل حديقتي النفسية إنه تفاعل جدار الذات مع الذات هذا التفاعل المرير والدؤوب لا أرى له نهاية لكنه إلى اللحظة هو دفاعي في مواجهة الضغوطات المحتملة

حتى الحديقة نفسها تحاول طردي منها أحياناً

هل فعلاً بان الذاتيون لا يمكن أن يكونوا فعّالين بالمعنى الواقعي المعاش

هل هم صاخبون ذاتياً وصامتين خارجياً ؟ هل هذا هو قدرهم فعليّا؟

بالنسبة لي الذاتيون عندما يَعون ذاتيتهم سيكون بإمكانهم صنع الفارق في نوعية الحياة فلن أستطيع الوصول لنتائج فيما أنا جالس بين العشرات وأبقى لساعات أنظر في هاتفي

والذاتيون الحقيقيون هم ليسوا السلبيين المتملكين لقناعاتهم بل هم الطاقة الإيجابية الجاهزة للإنجاز والتحرك

*

أكبر سلبية لوسائل التواصل الاجتماعي هي أنها نحّت الحياة العميقة بشكلها البسيط جانباً

الدعم التقني الهائل والمميز لهذا العالم جاء ليعزز ذكاء الإنسان ومكره ويخفف - من حساسيته

حساسية الفكرة التي تغيّر أشياء

الفكرة الساذجة في بدايتها والعميقة في أصلها

أنظر حولي وأرى مئات العقول الإصطناعية المركبة

أنا متراجع تقنياً وهذا لا يشعرني بالنقص و لا أريد أن أصير عَبداً للتقنية

ولكني لا أمثل معظم الناس فمعظم الناس سعيدون بالفيسبوك والتويتر حتى أنا الذي أتحدث لدي فيسبوك أستخدمه بالحد الأدنى و لم يكن لدي صفحة فيسبوك قبل العمل في مؤسسة إعلامية ولا أعرف شيئاً عن العالم التقني لحين بلوغي الثالثة والثلاثين من العمر .

*

ظهر زراق مفاجئ على إصبع بنصري الأيسر فشعرت بالهلع ثم مسحت بيدي مكان اللون الأزرق فذهب لكن هذا وترني فعلاً

الواحد منّا يكتب ويكتب ويحاول تحليل الحياة كيفما يشاء مستنداً على أنه يستطيع فهمها ومجابهتها وفجأة يكتشف أنه هش ومتعلق بالحياة أيما تعلّق عارض صحي بسيط أو تغيرغير إعتيادي في لون الجلد يجعله يقلق ويخاف ويفكر بالموت

أنانية خوفنا الشديد من فقدان حياتنا شيء مزعج أحياناً إذ يجب أن أمتلك النضج الكافي لتجاوز مثل هذا الشعوروذاك الإبتزاز المستمر من جانب الحياة ويجب أن تفهم نرجسيتنا بأنه مثلما هناك حياة هناك موت أيضاً

*

أشعر بالإحباط عندما أدرك بأني غير مغامرٍ كفاية لمواجهة مفاجأت الحياة وأخطارها مع أن الكثيرين يصفوني بالمغامر

بل أحياناً أشعر بالكذب على نفسي عندما أقيّم نفسي كشاعر حقيقي بينما أنا إنسان يخشى أشياء كثيرة في الحياة ومن أجل ذلك أحب محاولة تحدي وتجريب أشياء أخاف منها كي أشعر بالمتعة لاحقاً بأني وقفت في وجهها وقمت بتحديها وبأنه لا يمكن الحياة مع الخوف المستمر فهذا لا يليق بي كإنسان

ذلك كان أبرز دوافعي بممارسة سلوك ثوري يطالب بإسقاط النظام الديكتاتوري وأيضاً كنت أحاول تحدي شعوري المضني بالعجز وقلة الحيلة تجاه السلوكيات الفاسدة والعنيفة للسلطة الحاكمة

أنه التمرد على سلطة تفوقك قوة بكثير ولا يستطيع أحد التجرؤ عليها

ومن ثم جاءت تجربة اعتقالي المُظلم وجهري مع شريكي أمام ضابط الأمن وأمام قاضي المحكمة بما قمنا به بشأن مطالبتنا بتغيير النظام السياسي لقد اعترفنا بفعلتنا أمام القضاء وامام جهاز أمني يتبع لأحد أكثر الأنظمة ديكتاتورية في العالم ...

كذلك تجربة السفر دون هدف أو مخطط ولامبالاتي تجاه فصلي من وظيفتي الحكومية التي كانت تُعتبر حلماً للكثير من المتعبين الأشقياء خاصة إذا كانوا لا يجيدون عملٍ ما كما هو الحال معي

وأيضا طبيعة عملي السابق كعامل شبكات كهربائية بعلوها المرتفع مع أني أعاني من رُهاب المرتفعات وسط رُهابات أخرى كنت أصعد برج بعلٍ 25 متر و أنا أرتجف خوفاً

تلك الأشياء مع مرور الوقت ربما أصابتني بحالة من الوهن لكنها لم تستنزف من صلابتي النفسية تجاه ما أقبله أو أرفضه بهذه الحياة

أنا لا أريد أن أُقنع أحدٌ بأفعالي ولا أدّعي بأني قمت بأي فعل خدمة لأحد فأنا أفعل الأشياء لكي أشعر بنفسي بالمقام الأول ولكي أحاول الاستمتاع بلحظاتي وأنا مستلق في فراشي مرتاح ومنتشي حتى لو كان ثمة مبالغة في تخيّل الأمر

لم أخطط لشيء مُسبقاً وإنما كنت أحاول التمرد على خلل كان يحطّم صورة الحياة المرسومة في ذهني فالحياة الحقيقة هي التي تنشد اللحظات الخاصة الممتلئة حرّية وهذا يقودني للإحساس بالنشوة والإبتهاج

*

لا توجد سعادة كاملة -السعادة نسبية والسعادة اللحظية هي الحقيقية وهي المتواطئة مع القادم المغري و الغير مضمون لكن أيضاً فيما سبق ينتابني إحساس عميق بالظلم واللاعدل تجاه الطريقة التي تُدار الحياة من خلالها

إن القيام بالأعمال المُغَامِرة القائمة على أساس قَلِق تختلف عن الأعمال المُغَامِرة القائمة على أساس غير خائف أو شجاع

أرى أن الإضافة تكمن بالحالة الأولى ففي تلك الحالة أنت تقدّم شيئاً ما يستنزف من طاقتك وتضحي بالإستقرار الذي كان يسود حياتك الخائفة وذلك بقرار صادر بعد تفكير منك بأنه يجب أن يتغيّر شيء في هذه الدنيا وأنك في هذه اللحظة بالذات أنت مركز الحدث وعلى عاتقك يكمن التغيير

أنت تهاجم هاهنا

تخرج من مواقعك الدفاعية بهدف تحقيق غايات تؤمن بها ولا يمكن أن يثنيك أحد عن محاولة تحقيقها

نعم يجب أن تصدق ذلك في تلك اللحظة إن عمالقة الحياة كانوا يفكرون على تلك الشاكلة حتى تَغّير شيئا في هذا العالم هم أشخاص عاديون لكن في لحظات عطائهم الخاص كانوا جبابرة وعمالقة وسط أقزام

ففي حالة الخائف عندما يكون الأساس هو القلق يكون الإندفاع مدوي وصادم وجنوني وغير متوقع

بالحالة الثانية حالة الشجاع وعلى الرغم من أن الفاعلية اللحظية قد تكون أكبر لكنها لن تمنح ذلك المعنى المستقبلي للمعرفة على المدى الطويل لأن النتيجة والفاعل معروفان بديهيان فلا يوجد إختلاف أو تناقض تقدمي يدفع نحو الأمام

فعندما تكون معرفة الفعل والفاعل سهلة التوقّع لن يكون هناك مفاجأة تُحدث تغييراً واضحاً وإنما الإضافة تتآتى من الأفعال الغير متوقعة ذات المنبع الإلهامي الخاص

. إن شعوري وإحساسي بهذا الشأن واضحان

بعد إسبوع:

هذه الفترة هذا الزمن مُمل جداً

روتين وإستقرار مريب أحيانا أشعر بالقرف ونفاذ الصبر من اللاجديد واللا إثارة

من الصعب لمن مثلي إيجاد عمل مناسب لهم ليس بسبب فقدي للتميز والجدارة التقنية وحسب وإنما بسبب الإختلاف ولأني لا أحب حالة الإلتزام الأبدي بالعمل

تغيير العمل بالنسبة لي أمر صعب إلى حد ما لقد سبق وعملت أعمالا مؤقتة كثيرة كنادل بالمطاعم وبائع للخضرة وبائع بسطة للدفاتر على أبواب الجامعات ودهّان وعامل كهرباء لدى الحكومة وممثل كومبارس في السينما والتلفزيون ومن ثم صحفي وكاتب مزمن أما عملي الأساسي الأول ولسنين طويلة كان بائع في محل بقالة كان يمتلكه والدي في حيّينا الشعبي

أميل للعقد النفسية وكثيراً ومازلت أحاول محاورة تلك العُقد والتفاهم معها

كثيراً ما أكن مشاعرإحتقار للأخرين وهذا ليس ذنب أحد ولا يضايقني ذلك بصورة عامة

والاشخاص الذين احتقرهم ليسوا من النائيون الذين يثيرون التعاطف في داخلك إولئك لا يشبهون البسطاء

الذين اَستخف بهم إنهم من الوسطيين

إولئك من هم أقرب للإنتهازية وحب الكَسب في أي وقت وفي كل الظروف

إنهم عديمو الموهبة والأفق لكنهم بارعون في التحذلق الإجتماعي ومن أجل هذا هم يجنون المكاسب

هم أقرب للنميمة والدسائس وهُم البعيدون عن أي حالة خلق

أنا اتكلم عن الوسطيين من هم الوسطيون ؟ !سأترك لكم الإجابة ؟

.. أعتقد هذا الوقت المزعج من اليوم هو الذي جعلهم يقفزون إلى ذهني

اليوم أعرف بأن العمل لا يمثّل أي هاجس لدي ، إن ما أحبه وأنتمي إليه في الحياة

هي أن تتاح لي الفرصة للحصول على اللحظات العاطفية الخاصة عبر الفرجة الجميلة والمناظر الرائعة والسفر والتصويرأريد أن استمتع لكوني كائن صغير يتراكم حوله كل هذا الجمال ولا أريد ان يلهيني التفكير في العمل عن ذلك.

الكتابة و الشعر والطفولة :

أحسُ عندما أكتب الشِعر بالإلهام والتألق وبلمعة عيني وأن الذي أكتبه مهما كان بسيطاً سيغيّر شيئاً في العالم أو فيّا إنه بالفعل شعورُ عظيم بالأهمية يعزز فكرة لدي بأنه يجب أن أظل موجودٌ لكي أحظى بلحظاتٍ أفضل

في إحدى حالاته المتفجرة ومن زاوية ما يمثَّل الشِعر لحظة الفرح الغاضب المتحمس فهو الدعوة إلى التلاشي من ناحية وإلى التشوَف لزمان أكثر سحراً وبراءةً وشغف من ناحيةٍ آخرى

الشعر هو الخط اللذيذ الفاصل بين الممكن والمستحيل نعم إننا نتشوق دائماً لتكرار تلك الأحاسيس

وكذلك هو الحلم الذي يُرضي الجميع هو مغذّي ولطيف فأنت دائماً تغري الأطفال بقطعة حلوى أو لعبة صغيرة والشِعر يداعب وجوه الناس بحالة جميلة وقريبة من متناولهم هذا لا يعني أنه خداع وإنما هو حقيقة الحلم الممزوجة من الواقع واللاواقع

الناس الذين يحتاجون الشِعر هم الذين ينشدون الطفولة بقدر حاجتهم بأن يكونوا ناضجين

لا أستطيع الكتابة إلا إذا كنت صافي الذهن أو شبعان أو رائق المزاج و ربما ألجأ للكتابة هرباً من شعورٍ محبط أو إكتئابٍ ما

جديّون ونوعيون جداً الأشخاص الذين يكتبون بينما هُم متعبون أو متضايقون أو تعساء

الشاعر محمد الماغوط قال ذات مرّة أنه يكتب في جميع الظروف

.. و ديمتري ديبليانوف أيضا ذلك الشاعر والجندي البلغاري القتيل

*

ثمة تباعد بين الإدراك العقلي لمسألة ما وبين محاولة جعلها منسجمة نفسيّاً

أحياناً الإدراك الكبير لمسائل الحياة ربما لا يتعلق بفهم الشخص لنفسه تماماً أو للأشياء الخارجية المحيطة

فثمة خيط رفيع يفصل بين إدراكي وبين قراري النفسي كذلك ثمة شعرة مثلاً تفصل بين الكاتب الفيلسوف عن الشاعرالمتمرد

فالأول بارع بالرؤية والسرد والآخر ماهر بتوزيع الإنفجارات والحمم االذاتية ومنسجم مع غراميات الأساطير وسحرها المُلهم وبمراقبة انزياحات نفسه عن مسارها فيما يظل ينظر لتلك النفس على أنها أعظم ما يملك

. الكثير من الكتّاب مُدّعي نضج بسبب ضحالة الجانب الطفولي فيهم

*

: بعد أربعة أيام

. أنا لا أؤمن ، أنا أتشبث وحسب

نحن خُلقنا كي نتعلق بالأشياء واللحظات والأحلام بروعة ودهشة تفوقان الوصف

نعم لقد وُجدنا كي نُحارب ونتصارع مع نزوتنا الخاصة وبالتالي نحن نتصارع مع شروخاتنا النفسية بشكلٍ أقوى من صراعنا مع أفكارنا

في هذا العصر عصر المذابح الباردة الكبرى أنت مضطرٌ أحيانا أن تبتعد وتشاهد من بعيد كي تفهم نفسك ليس لأنك غير قادر على الذهاب بعيداً في الصراع وإنما القسوة المتفشية تتطلب صمتاً عميقاً صمتٌ منزويٌ وقاهرٍ للانحطاط والرُخص

كيف نهزم الرُخص نهزمه باللامبالاة التي ليست على خلفية هزيمة وإنما التي على خلفية وعي وتأمل لكن هذا صعبٌ أيضاً

إذا كنّا لا ننوي الإنخراط بعملية التعامل الرخيص المجاني ونريد الانتصار يوماً فيجب أن نبتعد لوقتٍ ما كي ننقض باللحظة المناسبة هذه هي حربنا الخالية من الغريزة البشعة والتي ستهزم أعداء الفكرة النقية والخيال الجامح بعد حين

. من أقصد :كلنا الجَمع الحسّاس في هذا العالم

**

ما المصلحة القومية العليا التي تجعل القادة العالميين بهذا الذعر والإرتباك من فقدان الهيمنة ؟

مختالون ومتعجرفون سياسيو الإقتصاد ومهندسو المجاعة المزمنة لا بل أكثر من ذلك وبلا انفعال هم أجبن من أي وقت مضى

السياسي المُدرك لمسائل الحياة والذي لا يملك كاريزما القائد الأممي أو أي إحساس ضمني بإمكانية أخذ قرارات فاعلة ونوعية سيظل يحتقر نفسه دائماً عندما يخلد للنوم وسيظل يتخذ قرارات لا يؤمن بها لكنها تُحاكي تطلعاته نحوالقيادة الشعبوية لتعزز نظرته الوسطية المترددة للشعوب والمترجمة لوطنيته الضيقة ودائماً إرادته الضحلة وتحيزّه الليبرالي التجاري سيمنعانه من الوصول لما يصبو إليه لذلك سيظل ينظر للسياسين والقادة الكبارمن الفئة الأولى بدونيّة وسيظل يقول في ذاته يا ليتني إمتلكت إمكانيات ذاك الزعيم أو ذاك

مثل هؤلاءالسياسيون المجسدون لوضاعة البروتوكول هم من يحكم العالم ويجعله رخيصاً وهذه النوعية ستبقى حاضرة على طول الزمان

ثمة إشراقات سياسية قليلة تملك قوة الفعل لإخراج الرفض من دواخلهم ذلك الرئيس الأرغوایاني الأسبق خوسيه موخيكا الذي عرض فتح قصره الرئاسي لإستيعاب المشردين عام 2014 و كان يتبرع بـ 90 %من راتبه الشهري للجمعيات الخيرية هذا انتصار حقيقي للفكر السياسي الشجاع وللإنسان وليس

حكاية إسطورية أو إنتصار مؤدلج لعقيدة رديكالية تستثمرها فئة معينة من الناس

مثل موخيكا يكون قدوة للسياسيين الفاعلين وللأشخاص الحالمين وليس لعالم السياسة المعاصر المرتجف

ماذا تعني الدبلوماسية العالمية لبداية القرن الواحد والعشرين إنها ترجمة لشخصيات متحذلقة ومخادعة لنفسها قبل خداعها للأخرين

فمثلا دولٌ كبرى تحكم العالم مثل الصين وروسيا وأمريكا تمتنع حتى كتابة هذه الكلمات التصديق على وثيقة محكمة الجنايات الدولية المختصة بملاحقة مرتكبي جرائم الحرب ومخترقي حقوق الإنسان وهذا يشبه ذهنيّاً أن يحوز سياسي أمريكي مُغرق بالبراغماتية والعنف الباطني مثل هنري كيسنجرعلى جائزة نوبل للسلام

ليس لدي ذرة شك واحدة بأن ذلك الكيسنجر سيوافق بضمير مرتاح على قتل الألاف من الأشخاص ورميهم في حاوية قذرة إذا إقتضت المصلحة القومية الأمريكية ذلك فهو الذي قال وهذا ليس أسوأ مانطق به لسانه :سيطروا على النفط ستسيطرون على الأمم سيطروا على الغذاء ستسيطرون على الناس ، في الواقع لا أجد عبارة تختبئ سوء النية والرغبة بالسيطرة وإذلال الناس بين طياتها أكثر من هذه العبارة

بالمقابل عندما يظل يُنظَر لرجل مثله بعين التقدير والتبجيل من قبل الأكاديميين الدوليين وهواة السياسة الدولية على أنه ثعلب لا يُبارى بسبب سلوكه السياسي الماهر فإن هذا يُبرر عدم تراجع وتيرة الحروب الباردة والصراعات الوحشية المروعة المختبئة بشكلٍ اقتصادي في كافة انحاء العالم

إن شراهة العقل الأمني التصفوي دائما ما تعيد الأمور إلى الخلف

إذا كان هنري كيسنجر سياسيّا ذكياً فليس علي أن أمجّد ذلك الذكاء بقدر ما يجب أن يلفتني خبثه وسوء نيته وإحتقاره المتعجرف المتناهي القسوة للشعوب كافة ولا أقصد الفقراء منهم

في هذه النقطة بالذات أي بما يتعلق *بكيسنجر *يقع التناقض لأني كإنسان لا أستطيع إلا أن أحتقره بقدر ما يحتقرني وهنا يكمن العداء بين المجتمع وبين المسؤول

إن رجل الدولة المغرق بالبراغماتية يشبه البخيل الغارق بحرمان نفسه من الأشياء التي يريدها بينما يملك فعليّاً ما يجعله يحقق ما يريد لكن يستعصي عليه ذلك بسبب طبع نفسي يعشعش داخله ولا يستطيع كبح جماحه .

*

كلنا يرغب بأن يكون صاحب سلطة صاحب نفوذ حتى لو كان ذلك على فردين أو ثلاثة

وأسوأ أنواع السلطة وأكثرها دناءة تلك التي يأتمر الآخرون من خلالها بينما ترى الهزيمة تنطلق من بين أعينهم من دون أن تتوقع أي رد فعل قد يصدر منهم

والمصيبة أنهم يشعرون بالإرتواء من وضعيتهم تلك مقابل امتيازات بسيطة

من الناحية التاريخية البشر يتعاملون مع قضاياهم ومشاكلهم انطلاقاً من منطق دفاعي تدريجي يُتَرجم في آخره لحالة عنف على شكل حروب جماعية طاحنة وهذا ما يقوله التاريخ

عارٌ على الإنسانية إدعاء التحضر دون أن تملك القدرة على تغيير نفسها

إن السلام ليس دائماً زهرة نرميها على الأعداء لا بل هو تقريـع ومحاكمة وقضاء وأحياناً التخلص ممن يسبب الأذى ويدمر الجمال برميهم بسجن بعيد وناء

نعم يجب أن ندخل الصراع بحزم أكبر كي نحافظ على إنسانيتنا ، من نحن كُلنا المتمردون ، المنزويون ، المنظمات الإنسانية ، حركات الخضر في أوروبا، : البوهميون الأنقياء والأناركيون الصادقون .

لا أريد قتل الناموسة ولا اريد للناموسة أن تقرصني .

***

رَمزية :

إن الشِعر لا ينتهي لكنه يستريح حينما يتحقق الغرض الجوهري منه بعد ذلك يتبدل إلى تجربة جسدية حركية خلاّقة عندها ستتوقف الكتابة الشعرية عن تصدير القشعريرة وتغدو لغة بصرية صامتة لمّا تقترب من حالة الشرود التي يهدف إليها الشعر وبذلك نحن نقترب من :الفكر الشاعري ...

إنهم الشعراء النُخبة الشعراء القادمون النوعيون أصحاب الموهبة والنقية واللياقة الجسدية

بالمقابل وهذه حقيقة فإن الشَاعر الخلّاق لا يستطيع أن يقسو إلا على نفسه فهو المُضّطهد الأكبر وهو الشفوق الأكبر والأجيال تنهل من الشعراء بعد حين

الشاعر دائماً ما يجد من يَحكمه وينفيه بينما لا يَحكم إلا بعد موته

الأداء الصامت هو أقوى مراحل الإيماء

والسلوك الحركي المتطور والخلّاق هو أقوى مراحل الحياة البشرية إنه التعبيرعن الفكر الشاعري الذي هو أسمى من الكتابة الشعرية الإيقاعية

. وذلك الصامت الذي أعنيه هي ذاته الموسيقى التي أَنشدها

*

إنك تنظر على الأحياء من فوق من عند السطح العالي

... وترى الشمس ترمي بظلالها الحيطان وسقوف الأبنية ثم تشرد

ما هي ماهية العلاقة بين الشيء الذي يُدفّينا في الأعلى وبين صوت آلات البناء بجانب سكني ثم تفكر بالمسافة التي بيننا وبين الشمس وحاجتها كي تصطدم بمادة تكرّس معناها الخلّاق ثم تغدو مُدركاً للحقيقة البديهية الأبدية :

نحن عالم الشمس وليست الشمس عالمنا

وأن الغيم والنجوم والفضاء هم بالفعل ليسم مِلكنا والذي يجعلهم قريبون من أن يكونوا في متناولنا هو خيالنا الجامح وطبيعتنا البشرية المتنوعة الفذّة نحن الكائنات نمّثل الجزء الأكثر نسياناً ونأيٍ في مشروع الكون العظيم ومع هذا نشعر بأننا نمتلكه .

***

البحث عن الخلاص :

. الإنسان يمقت الموت ولا يستطيع إيقاف العبث

. الإنسان يؤمن بنفسه وبموته ويواجه معتقداته وعبثه بشكل شجاع

عبارتان متناقضتان من جدال دار بين رجلين في فيلم سينمائي

حسب فهمي للعبارتان فإنهما تحملان إحساساً دفينِ وفنيّ ممزوجٍ برائحة الموت والزهوة الفكرية

فالجملة الأولى تعني الإنسان الذي يحاول أن يصالح العُمر وسط مشاعر العدمية واللاجدوى مع ضرورة العيش والبقاء

في هذه الحالة ربما يُحسَم الأمر لصالح القوة العُليا المتمثلة بفكرة الرَب وإطارها الديني ويُريح الشخص نفسه من عاصفة الأسئلة الكبرى في الحياة أو يُفرض حل تصالحي نسبي يعترف من خلاله بتلك القوة العليا بينما لن يستطيع تماما إمتلاك إحساسه بالقوة العليا من دون وازع قانوني بارع له علاقة متينة بالإستنتاج اللاهوتي وهو الِدين لكن بذات الوقت سيكون مهزوماً أكثر من النموذج الثاني وقد خسر الإحساس بالتحدي والمنافسة على التحريض الذهني لكن شعوراً بالأمان سيعوض إن كان محظوظاً كل ما فات وبذلك يكون قد وصل لراحة البال المنشودة بالنسبة إليه

الجملة الثانية تحمل حسماً أكبر لِما يريد أن يَكونه الفرد الجامح فهي تتحدث عن الثقة من غاية الحياة

ذلك النموذج يجد حزناً وظلماً بالحياة لا يراه أحد سواه بينما يشعر أن ثمة خطيئة كبرى بالحياة لا يحسها الآخرون وفي هذه الحالة سيكون المرء قريباً نوعاً ما من فكرة إيمان لاهوتي ما دون الوصول إليها بالتزامن مع شعورٍ بالانهاك ونفاذ الصبر من فكرة التواصل مع الآخرين بينما العمر يمضي والشيخوخة تغلب سردية الفكرة برائحتها البليدة

أو ربما تفضي قناعاته إلى أن حقيقة العبث هي الجزء الذي تبنى عليها لحظات خاصة مكتنزة إبداع وطاقة ذات إشعاع

إن الوصول لهذه القناعة حسب رأيي هي مرحلة خاصة من مراحل الوعي المتدفقة والأكثر روعة

بوضوح وحزم تلك الجملتين تختصران جنوح الحِراك الإنساني نحو السلام النفسي بمعياره الشخصي ونحو صيرورة الحياة ودقّات القدرالمقبلة .

بالنسبة للبشر لن تتوقف التساؤلات الكبرى عن معنى الحياة ذلك لأن ثمة مليارات الإحتمالات من البشر ومن الاختلافات لكن يظل التطرق لمثل الحديث السالف بمثابة تعبير صارخٍ عن الفكر الهائم

أنه أمر جدير وأبدي ويعبّر عن الإنسان بكل ما فيه إنه الهَوس بدفء الفكرة وأمانها البعيد ..

إن هذا العالم نهض على الأرجح من أشياء تافهة وغير ملفتة وهذا ما يمنح الإغراء للبحث عن حياة نقية وأكثر نضارة. -

اليوم التالي :

القياس الحقيقي لقيمة الإنجاز الإنساني هو تراكم الزمن إذ لن يتم تقييم تجربة فردٌ ما بشكل جدّي بينما لا يزال على قيد الحياة

إن للغياب دوره الخاص كما له دور عظيم في تحديد قيمة المرء المعنوية لأن الناس عموما يهتمون بذكر بعضهم بعد فناء الحاضرين .

ذات مرة قال لي أخي الأصغر إن الحزن هو اللحظة التي نصدّق فيها من أن ما نحبه قد رحل ولن يعود أبداً .

لكن أيضاً علي القول بأن التفكير بأمر ما قد لا يصل لغايته المعنوية أو المادية من خلال الحصول على النتيجة المطلقة أو المنطقية بل يستمد معناه بمحاولة الوصول لحالة التفكيرالقصوى المتعلقة به والتي يترجمها العقل البشري بعظمته وعُلو نزعاته

كل النماذج الإنسانية تميل بقوة نحو نرجسيتها والكل ينقصه شيء حتى يكون كاملاً وهذا النقص مُلزم لوجود التناقض الجمالي بين الإنسان والإنسان وبين البشر وبقية الكائنات وهنا تكمن الروعة إذ لا يوجد كمال في الحياة إنما يوجد فن وإنجاز تجعلان بطريقة ما القوة الناقصة بكافة أبعادها قوة كاملة نوعاً ما بمعنى آخر نقص المعرفة والحقائق يولّد الخيالات العظيمة

نحن لسنا بحاجة لكمال مجسّد أمامنا بل نحن نتشوق هياماً لكي نحس به ونعشقه دون أن يكون موجوداً.

التَرِكَة الدينية :

حسب وجهة نظري إن التديّن الفكري الأكثر إعتدالاً والغير ملتزم هو التدّين المحترف

لأنه يجنح نحو الهدوء والعيش السهل وسلميته تتنافى مع التطرف الكامن المتراكم خلف مفهومي الثواب والعقاب التي تروج له الديانات الإبراهيمية السماوية *وبعض الديانات الوضعية*

لو أردنا أن نلحظ فإن الكثير من المؤمنين المعتدلين السلميين لا يستقون سلميتهم من تعاليم الدين وإنما من طبيعتهم الفطرية الودودة فالمتدين المعتدل وهذا قليل من نوعه ليس فقط من لا يؤمن بالإرهاب الجسدي وإنما هو من لا يقبل فعليّا بأي تطبيق عنفي للنص الديني كأن يرفض مثلا بأن يكون ثمة محاسبة للردّة عن الدين الإسلامي التي يكون عقوبتها الإعدام في دولة مثل

الباكستان مثلاً أو أن يرفض العقوبات الوحشية للمخالفات الحاصلة بحق الشرع مثلا قطع اليد والرأس والرجم بالحجارة

فمن يدّعي الإعتدال بينما يتبنى ضمنيا منطق التكفير أو يعتبر أن الأشخاص من اتباع الديانات الأخرى أقل شأنا وقيمة منه أو أن يشعر بالإهانة والغضب لأنه رأى أحدهم يأكل في شهر رمضان *بالنسبة للمسلمين *مثلاً فليعيد عندئذ حساباته بشأن إعتداله

بالنسبة للهندوس مثلاً الأمر لا يقل مأساة و رعب فكل سنة يموت العشرات نتيجة عمليات التدافع التي تحصل لدخول للمعابد في الأيام المقدسة وفي بعض المناطق الهندية ثمة دوريات محلية غير مرخّصة مهمتها الإمساك بالمسلمين الذين يحاولون إدخال لحم البقر لمناطقهم وضربهم بوحشية حتى الموت ذلك لأن العقيدة الهندوسية تحرّم أكلها وهناك عشرات الامثلة من هنا وهناك

إن فكرة الإله الديني الفقيرة في عمقها بوصفها متكبرة لا تملك إلا فوقيتها - ستجد نقيضها الواقعي المحترم عند حرية الإنسان الواعي .

إذا كان الميراث الديني لعب دوراً في حياة الشعوب يوماً ما وجعل من وجوده ذا أهمية لاكتشاف هوية توجهه المتطرف فهذا لا يعني أبدا في أن تظل سطوته الإخصائية موضوع تبجيل وتقديس للأبد

بالنسبة لي أفهم تماماً لماذا لا أتوافق مع النظام الديني السياسي وذلك لا يعود حسب اتهام بعض المنغلقين لخلفية الجنوح الراديكالي الإلحادي أو الرغبة في التعبير الشكلي عن التمرد الذي سيتغير ويعود أدراجه إذا لم يكن جذرياً وحاسماً- فالموضوع هنا ليس فكرياً

وإنما بسبب إحساسي العميق بحجم الجُبُن والغدر والهزيمة الذي تخلفه التَرِكَة الدينية في نفس الإنسان فالكثير من المتدينين وخاصة المتشددين ممن قابلتهم تكون لديهم رغبة كبيرة في التملك والإستحواذ مع شعور مميت من خوف الخسارة مع أنهم ليسم أشرار بشكل مباشر بل العديد منهم يكون لطيفاً ودودٍ إلا أنهم أيضاً ليسوا من أنصار أي حالة تمرد أو تغيير تؤثر على منظومة العيش خاصتهم والتي تجتاحها صنوف من الاستغلال والفساد في خضم علاقتها مع الإفرازات الاقتصادية الجائرة للسلطات الحاكمة المستبدة

هم متشبعون برغبة الحفاظ على أكبر فترة من الاستقرار المادي حتى إن كان ضئيلاً هُم أعداء أوائل لأي ثورة فكرية على حساب السلام الاقتصادي المزمن وهذا متناقض مع قناعتهم بوجود الفردوس العظيم الذي يدعونه والذي من المفترض أن يخفف وجوده الحتمي حسب قناعتهم من تمسكهم بالأمور الدنيا وليس التشبث أكثر بملذاتها

أما رغبتهم الداخلية بأن يستحوذوا على المكافأتين الدنيوية والماورائية وهذا يُغازل دواخلهم بطبيعة الحال يبدو غاية في السخرية وعدم الجدية وينضوي على قدر كبير من الوهم وعدم القناعة المتجذرة حتى داخل المنظومة الدينية الداعية شكليّاً إلى الزهد من الأمور الدنيا ولهذا أرى أن الكثير من المتدينين بقوة أي الملتزمين فوق الاعتدال والأدنى من التطرف العدواني الصرف من كافة الأطياف وفي شتى الأصقاع غير مقتنعين في الغور القصي من أعماقهم غير مقتنعين بالوعود الإلهية المتعلقة بالنعيم الفردوسي وإقامة موضوع النعيم الأبدي في كينوناتهم إنما يدل على نزعة قشرية من رغبة الإكتمال المعنوي عبر محاولة خلق محاكاة دائمة تخص اللحظات السعيدة والآمنة التي يشعرون بها من أجل ذلك هم مهتمون بشكلٍ ملحوظ بمتاع الحياة الدنيا ولا يجرأون بذات الوقت بأن يعترفوا لأنفسهم بذلك السر الدفين السر الذي يعرفونه ولا يعرفونه ؟ !!السر الذي سيموت مع موت المرء وسط حفاوة قلقة من التجمهرات المتجمعة حول الجثة الهامدة

إذا ما أردت أن أخرج بالفكرة إلى الشكل الواقعي المباشر سأجد بطبيعة الحال أن الفقر والتشدد الديني توأمان سياميان يقودان بطبيعة الحال لنزاعات مسلحة دموية فغالبية المسلمين في أرجاء العالم مثلاً يرزخون تحت طائلة الفاقه والتخلف ببلدان كأندونيسيا وباكستان وأفغانستان

والأشخاص ذوو الأصول المسيحية الذين ينعمون برغد الحياة في أوروبا الغربية يختلفون عن نظرائهم في أوروبا الشرقية والبلقان أو في أمريكا اللاتينية من ناحية الشعور بالظلم الاجتماعي والقلّة وتفاقم مشاعرالإضطهاد والدونية

نفس الأمر ينطبق على الهندوس والبوذيين في آسيا والذين يعيشون عبر ظروف مادية غاية في القهر ببلد مثل الهند ومناطق من الصين

هل ما سبق يعني بأنه لا وجود لرجال دين شجعان وصادقين وأوفياء لمبادئهم؟ بالتأكيد يوجد فنحن نتحدث عن خبث الفكر الديني المتفشي وعن الشيء الذي نسمعه ونراه بوضوح لا عن الحالات الفردية الناضجة المتواجدة في كل المجتمعات والعقائد.

***

فاصل :

أنا لا أكره الفقر وأطالب بمحاربته كي أكون صوتاً رهيفاً يرفض الفاقة في الوقت الذي أنام به شبعاناً وإنما لأنني أدرك مشاعر الحسد وسوء النية المتراكمة في نفوس الفقراء تجاه الأفضل حالاً فليس هناك أمراً أشد خُبثاً من وجود الفقر إن وجود المسحوقون يتنافض مع المعنى من وجود الإنسان لأنهم إذا أصبحوا متنفذون بشكل تعسفي وغير محسوب سيكونوا أشراراً إنتهازيون

من الصعب الإنصات لأعماق البشر وتصنيفهم وشرح أغوارهم لكن الإفرازات الحسية والحركية الصادرة من الناس تجعلني أتيقن وأفهم حاجتهم اللاهوتية من خلال تفكيري في لحظة ما بالإطارالوهمي وهذا الإطار الوهمي يدخل من خلال الفسحة الصغيرة في الذهن والتي لا تستطيع بعض العقول حسمها والسيطرة عليها فيدخل من باب التعب واليأس و وقوع الكارثة وبأن ليس ثمة أمل في العالم الأرضي

في داخلي أتعاطف مع أحلام الآخرين وأمنياتهم لأني أُدرك بأن غالبيتنا نحن البشر نحتاج في هذا العالم لطموح مُبالَغ به أحياناً كي نستمر على نحو أيسر

إنني أشعر بقوة تمسك الفرد بالفكرة التي يؤمن وبمدى الشحن العاطفي الهائل والمخادع الذي يؤمنه الإيمان بالغيب

أشعر بسوء النظام الحياتي برغم كل ما فعله من إيجابيات عندما يصل بالفاقة والبؤس لهذا الحد وذلك النظام هو التحالف الخبيث بين المنظومة الحاكمة و

الشعائر العقائدية وهو جليّا في كافة البلدان النامية وباطني في بعض الدول المتقدمة مثل الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا

في أمريكا ما زال ثمة حضوراً للأفكار الكنسية بالرغم من عدم تدخلها بإسلوب الحياة بشكل مباشر والمتطلع المختص بهذا الشأن يعي ذلك عبر أمثلة وإحصائيات تدعم هذه الرؤية

حضور الأفكار المسيحية المُغالية في صفوف الحزب الجمهوري لا تُبشّر بالخير

و كذلك انكلترا الرائدة العملاقة وأعظم من عمل في السياسة وفي الإعلام والتنظيم.. ماذا بعد ؟!!!

لا أفهم كيف يمكن لعائلة ما أن تحصل على التقديس الملكي الإلهي إلى أبد الأبدين

!!!!!! هذا غريب حتى النخاع

حتى لو كانت الملكية شكلية فإنها تمثل النقيض الصريح لأي رغبة عقلانية

كيف يرتضي رجلٌ - ملك - إمراة - أي أحد أن يحظى بهذا النوع من الإحترام الشكلي إلى الأبد بوصفه أعلى من مستوى بقية أفراد الشعب !!!

كيف يقبل رجل يعيش في هذا الوقت بعد كل التراكم الثقافي الممتد عبر آلاف السنين كيف يقبل أن يناديه أحد بمولاي الملك !!أو جلالة مولانا مثلما يحدث في الاردن والمغرب ودول اخرى عبر العالم !!صِدقا أنا لا أفهم كيف يصدق هو نفسه ذلك ؟ !!ماذا يعني عائلة ملكية يا جماعة !!!!!

هل هناك أقسى وأكثر تمثيلاً ورياءً من أن يغرق المرء في بروتكول يمتد لعشرات السنوات محرومٌ تماماً من الحرية الشخصية أو أن يكون مفتقر تماما لخيار إحتمال أن يغيّر مصيره في لحظة ما !!

أرى من الضروري الإستمرار بمناهضة الأشكال الفكرية التي تحاكي العبودية ذلك لأنها تعزز الإختلاف الجذري والحاسم لشكل من أبرز أشكال الحياة السياسية القائمة على الأرض.

*

لا حياة متنوعة بدون مشاعر عميقة تهز الأركان

بالنسبة لي مشاعر الوحدة تصبح أكثر غموضاً يومٌ بعد يوم

أحقاً الوحدة الحقيقية هي عالم المرء الحر الذي لا يسهل عليه الإفصاح والتعبير عن كوامنه ؟

هل صحيح أنه ذلك الخجول العميق الذي يعامل العالم برقة ويجلد ما بداخله بقسوة بينما يظل أسيراً لذلك الخجل وذاك العُمق المُنهك

ربما مثلما قال فيكتور هيجو في إحدى رواياته)عند نقطة معينة ستفقد القدرة على مقاومة الوحدة(

ثم ستشعر بالإنهاك أكثر عندما تعلم أن ليس ثمة أحد يستطيع إخراجك من هذا المأزق من انغماسك الانفرادي

إذا كان المرء عاطفياً تعلقيّاً فإن الوحدة ستصبح يوماً ما جحيماً لا يطاق

بالنسبة لي الوحدة السلبية تجعلني قريباً من الحافة بمعانيها المتفرعة دون أن تجعلني متصالحٌ تماماً مع تلك الحافة وهذا الجانب السلبي بالموضوع فأنا لا أحقق أي قفزة على هذا الصعيد لكن أيضاً في هذه الحالة تبدو المقاومة ضرورية فالذهاب إلى الذروة مع مشاعرك يجعلك قريبٌ من كنزٍ ما

أقول في نفسي إن عرفت كيف أُفرح وحدتي سيكون الأمر أخف وطأة وبهذا أنا بحاجة ماسة لمخرج إبداعي يُكسب الوحدة معناها المتمرد والفني أحياناً وهذا ما أتصارع من خلاله لمواجهة الوحدة السلبية إذ لطالما سعيت إلى وحدتي التي أراها ذات معنى إلى حدٍ ما إذا ما اعتبرتها نتاج طبيعي لعالمي النفسي

أنا لا أعلم كيف ستسير الأمور لاحقاً لكن ربما نزعة التمرد الفردانية ستجعل الوحدة مآلاً سعيدٍ في حال صمد جدارك النفسي أمام هول الصيغة الجمعية

وحالة العزلة لا علاقة لها بحاجة المرء للوَنس فكلنا يحتاج لذلك في عديد الأوقات

أنا أفضّل مثلاً أن أعيش في مدينة كبيرة ملئ بالضجيج على العيش في قرية نائية مهما كانت تلك القرية جميلة ، ضجيجٌ أشعر به وأسمعه لكن لا أعيشه بشكل ملتصق أوإجتماعي

والوحدة ليست خيارٌ بل بكل بساطة هي جنوحٌ نفسي يأخذك لعالمٍ تجهل أنت نفسك إلى أين سيأخذك لكن كل ذلك لا قيمة له ما لم تشعر بأنك تحقق ذاتك من خلال ذلك الشعور

ومع ذلك يمكنني أن أنهي الفكرة بقناعة واضحة بالنسبة لي بأن مفهوم الصراع الذاتي أو الوحدة بطابعها الإنعزالي بالرغم من خصوصيته إلا أنه موضوع مبالغ به فنيّاً أو أدبياُ أو فلسفياً لأننا بالمحصلة كائنات ترغب بحالة إعتراف معينة أو ترك أثر من قبل جمعٍ معين يعترف ويُهلل لإمكانياتنا ومواهبنا ونزعاتنا وكلما زاد الفرد عمقاً ونضجاً يبدأ يضمحل تدريجيا ذاك الهاجس الجماهيري الإعترافي مقابل أن يحصل المرء على قناعته الخاصة بأنه عاش هاجسه بالحياة بالطريقة الممكنة بالنسبه له

بمعنى ما فإن المرء يكون اجتماعيا بطريقة ما حتى وهو يعيش الوحدة

فالوحدة ليس وضع فيزيائي بالضرورة وإنما شعور عميق له أساس غاية في الخصوصية

ليس هناك أقسى من ألا يعرف الإنسان نفسه ، أن يُحرم من اكتشاف أعماقه

وأيضا من المقيت والقاسي أن يعتبر المرء في مرحلة من حياته بأن قساوة وحدته في مرحلة ما إنما هي عقوبة ختامية عن مجمل ما قام به ذلك لأن شعورنا بالوحدة إنما هو جزء من بنائنا النفسي والعقد الإجتماعي هو البهجة المحيطة بتلك الوحدة وهنا يقع التناقض الجميل في مغزى الطبع الإنساني

انا لا أدعو كي يكون الأشخاص وحيدون ولا أدعو نفسي بطبيعة الحال لكني اعتبره شيء بسيط وطبيعي وضروري في أوقات معينة ويجعلني أفهم معنى أن أكون حيويّاً إن كنت أريد ذلك

أنت تستمتع بشكل خاص عندما تمشي وحيداً على شاطئ البحر تراقب الغروب بينما تداعب الأمواج قدميك فيما أصوات الصياح من الأطفال

والشباب من حولك يجعل صدى الأصوات أكثر فعالية يجعله مُلهما للتفكير واكتشاف المزيد من هذا السحر المتداعي الإسطوري الذي إسمه الحياة

لست من أنصار الحكمة التصوفية الداعية للتصالح الأبدي مع الذات

إذا كانت الرغبة بمعرفة نفسي والوصول لأقرب نقطة للوصول إليها ستجعلني أتصارع نفسيّاً حتى نهاية حياتي فلن اعتبر نفسي خاسراً في الحياة .

***

التمرد هو حلم الحياة يناكفها ويرتّب لحلم جديد)من ديوان حكايا العيون (

هكذا أجده وهو أحد أحلامي الشخصية

والعزلة هي شريك جيني للتمرد هناك في حديقة ما في شارعٍ ما في جمالٍ ما ستولد الفكرة بلحظتها الأولى بعقلٍ ما وبانغماسها الفرداني سُتحدث الصدمة

وحالة التمرد الفذّة ستولد من حالة تراكمية شعورية أو معرفية

ضمنياً لا علاقة للتمرد بالشجاعة الصرفة مع أنهما يتداخلان في وقت معين ربما الشجاعة أو قوة القلب تدفع التمرد للأمام لكن لا تتبناه من حيث المبدأ

أرى في الغالب أن التمرد من الناحية النفسية أسمى من الشجاعة وأكثر عمقاً وأطول أمداً فمفعول الشجاعة في أحيان كثيرة يكون لحظيّاً وفي أوقات آخرى لا يتولد من تراكمات حسية أو معرفية بل من طاقة جسدية وبيئية وربما جينية

لكنه يختلف عن فعل التمرد القائم على الخبرة النفسية والإحساسات المتناوبة والتلقائية

المتمرد ليس فارساً جاهزاً لكل المخاطر وإنما جندياً يقف بالصفوف الخلفية متوتراً في بداية الأمر مغامرٌ في ما سيأتي لاحقاً
وربما يعيش بسيطٌ وخائف لكنه سينتقم لاحقاً من خوفه القديم وضعفه المستباح

حرية الفكرة وغرابتها:

ليس هناك فكر حتمي وإنما يجب أن تكون هناك عدالة بمفهومها القابل للنقاش بجدية وليس القابل للمساومة إنها العدالة الاقتصادية العدالة العلمية . فمن دون اقتصاد قوي متوازن لن تكون ثمة إمكانية لعدالة معقولة

انا أحب فكرة العدالة أعشق جمالها وتداعياتها المَهولة لا أفضلّها من زاوية أن يحصل أحد طرفي صراع ما على ما يعادل ما حصل عليه الطرف الآخر

أو أن يحصل طرفٍ ما على ما يستحقه من أفضلية لأنه كان أفضل من خصمه ولو أن هذا مطروح بقوة أيضا

فالعدالة بمعناها البعيد تمثّل حالة تقدمية رفيعة المستوى في الحياة الإنسانية

هناك علاقة عضوية بين العدالة والرغبة بالتمرد أَحسّها تماماً

لأن حالة الفوضى والخّلق التي تستعران في الوضع التّمردي تعكسان طاقة من عدالة قابلة للنظر فيها وهذه العدالة كغيرها من القِيم نسبية التحقيق

*

ليس ثمة قناعة حتمية قابلة للتطبيق في كل ظرفٍ وكل زمان من أوقات الحياة

بإستثناء بعض الأشياء الغير قابلة للنقاش كمثلاً حدوث حالة الموت لجميع الكائنات

ثمة دائماً ثمن إقصائي للأفكارالعظيمة وهذا قدر لافت لا محيد عنه لهذا تنضوي الأفكارالمنافسة الأقل عظمة على طابع نسبي يحمي البشر من الإنجراف القاتل ويخلق التوازن المرحلي الذي يساعد على الاستمرار استمرار الناس إستمرار الحياة بشكلها المُحتمل العادي المتوازن لكنه توازن مؤقت وليس خلّاق لكن أيضاً ليس من الضروري أن يكون خلاقاً في مرحلة ٍما وإنما يجب أن يُمهد بأن يمنح الفرصة كي يكون خلاّقاً في وقتٍ ما

لا يمكن أن أكون نرجسيا لدرجة أن أطلب الفن في كل لحظة ولكل الأشياء فهناك أشخاص بعيدون عن الحياة الفنية ويستحقون العيش بهدوء وسلام

إذ مهما كان ما أؤمن به عظيمٌ فلا يحق لي عندها الطلب من الأشخاص أن يكونوا متفهمين لأفكاري عندما يدفعوا حياتهم ثمناً لها وهذا بالذات ما تمثله الفكرة السياسية الذاتوية الشاملة أما حينما تنفذ ذاتية الفكرة العبقرية بين المجتمعات سيتكون بالضرورة ومع مرور الوقت بديل لها أكثر فاعلية ونفاذاً وهذا تماما ما تطمح له الفكرة العظيمة إنها لا تتحقق بسرعة ويُسر بل أنها تحتاج للزمن والثمن الكبير كي تبدأ فعلياً بعملية الخلق وتغدو مادة متحركة - وبالتالي تهزم الأفكار الأقل الأهمية

.. خاطرة سريعة

اَسمع عن شخص مشهور يُعتبر مناضلاً كبيراً في بلده وهو أسير أُعتقل لأكثر من خمسٍ وعشرين سنة بسجون المحتل جرّاء عملية اقتحامية نفذها راح ضحيتها اثنين من المدنيين أب وطفلته

إنها أحقر وأخس طريقة للتعبير عن الشعور الوطني إنها جريمة وليذهب مع سنين سجنه للجحيم

النزعة الثورية التي تجعل من المدنيين هدفاً عسكريٍ لتحقيق شكلها الإنساني ما هي إلا إكذوبة وضيعة ورخيصة إنها الرؤية العنفية الأكثر تبجحاً لمجتمعات متعفنة جهلٍ وقمع وإخصاء

ذلك المناضل يدعم هذه الأيام قتل المدنيين بمساندته السياسية المباشرة ... لديكتاتور من بلدٍ أخر يقوم بقمع ثورة عرفتها البلاد

*

الأشخاص العاديون من هم ؟

أنا لا أبالغ عندما أدّعي بأني أكره وقوع الظلم على الآخرين أو عندما أتألم على المسحوقين ذلك لأني على يقين بأن وجود المظلوم والمسحوق لا يخلقان منه شخصٌ جيدٍ

عندما يبدأ الوعي بالكذب على نفسه يبدأ بالإنهيار والإنحطاط وهذا حال العديد من المفكرين والكتّاب الذين يحرضّون الناس على ضرورة القوة والتمرد بينما هم لا يخرجون من مكاتبهم ويفضلون البقاء جانب المدافئ ولا يفتأون يقولون بأنهم يرفضون قتل ذبابة

عدالة الفكرة في عبثيتها وليس في نتيجتها :

الفكرة تختال وتتغاوى في أفواه المتحذلقين على حساب الملايين

مئات الأفكار تنمو وتزدهر على حساب أجيالاً لا تقرأها ولا تسمع بها بينما تشعر أي تلك الأجيال بأنها لا شيء في هذا العالم .

بشكل عملي أي فكرة في سِموّها تصبو نحو أنسنة عدالتها الشاهد الشرعي على حريتها وإمكانية تحقيقها ماديّاً إن الفكرة الحرة تتملكها على الدوام نزعة الذهاب نحو الاكتمال المعنوي

إذا لم تجنح الفكرة النقية نحو العدالة ستسير باتجاه العبثية السوداء التي تلعب لعبتها في البشر والحياة

والعبثية لا تمثّل السالب بقدر ما هي تعبير عن الحيرة وصدى الكذب المتراكم في النفوس و الإحساس العبثي هو الصراع بين سعي الأفكار نحو آنسنة عدالتها وبقاء حريتها مقابل مادية الطموح الإنساني القابل للفناء بأي لحظة إنها الوسطية الحتمية ما بين العظَمة والعظَمة على جثث غالبيتنا من الكائنات حيث يجد العنف والظلم تَفشيهُما الخاص بحجة الدفاع عن مصالحهما المُبهمة شعبيًّا

لكن الشراكة العبثية الواضحة المتسترة خلف سلوك الجنس البشري هي بكوننا مضطرين لأن نقتل بعضنا في موقف ما

لن يستطيع كل ما يعتمل في نفسي من محبة وجمال على سبيل المثال منعي من أن أقتل شخصٌ بلحظة ما بموقف ما بقصد أو بدون قصد

شخص يعيش في شارعك ولا تستطيع مواجهته جسدياً بينما يمارس إزعاجٌ مستمرٍعليك هو فعلاً يسبب لك حصر نفسي إنه فاسد وقذر ومؤذٍ وأنت لست كذلك لكنك لا تملك الدوافع العنفية أو القوة العنفية لردعه مثل هذا الشخص لو واتتك الفرصة لتتخلص منه خلسة وبطريقة لا يعلم بها أحد ممكن جداً أن تفعلها أن ترتكب جريمة ومع أنه يصنّف كحثالة بنظر الدنيا كلها ومع هذا ستذهب للمحكمة لكي تعامل كقاتل يستحق العقاب

الحقيقة لا يوجد فرق كبير بين أن تتمنى موته على الدوام بينما يفعل غيرك ذلك وبين أن تقتله بنفسك خلسة في منتصف الليل في كلتا الحالتين أنت هُيئتَ للقيام بالأمر وعدم قيامك به في اللحظة الأخيرة لا يعني بأنك لن تفعلها في كافة الظروف

!الفكرة طريفة وواقعية وشريرة نوعا ما ؟

هذا التناقض ..هذا العبث ..هو جانب أساسي من الحياة عينها

إن واقع جمال التناقض إنما هو العدالة الواقعية التي تليق بظروف وجود الإنسان.

*

محظوظ أنا لأن الفرصة جائتني كي أتحدث عم ما يدور في ذهني ويسكن أعماقي وأن أتحدث عن أشياء تخص العزلة والتمرد والجمال والحب و العبث والخلاص والخوف والشغف

كلٌ منّا يحس بهذه الأشياء في نفسه بنسب متفاوتة وستبقى طالما بقي البشر ربما لأن هذه المشاعر تقبل النقاش على الدوام في كل زمان ولا ترتضي الحسم إذ من الممتع ان أكون ندّاً لمشاعري وأعرّي ذاتي

أشرد لحظة وأجد أن مشاعر العبث يجب أن تطال الأشخاص التقليدين ـ المستقرين أكثر من غيرهم من المتوترين الباحثين عن شيء ما في الدنيا إذ ليس ثمة أصعب من أن تعيش في سكينة فكرية ستين أو سبعين عاماً في فلك الفكرة الواحدة هذا الطرح عبثي بمعناه السلبي

لكن الحساسون المتمردون الباحثين عن الشغف محكومون بالهاجس والإندفاع المستميت خلفه

الحيوانات :

دائما أفكر بإصرار الحيوانات على العيش فرغبتهم بالبقاء مستحيلة وخارقة للعادة فَقمات ودببة القطب الشمالي مثلاً يعيشون في ظل تماسك الجليد ومن ثم ذوبانه مُهددين بالموت جوعاً ويمضون جل عمرهم وهم يبحثون عن الطعام ومع ذلك متمسكون بالحياة هم يريدونها لأنها ببساطة أفضل من الموت

هذه الكائنات الفقيرة

هذه الكائنات المتوترة المشغولة التي تظل خائفة تثير حفيظتي فعلاً

!الطريقة التي تبحث بها عن الطعام، طريقة شمها للأرض والهواء

الفقمات مثلاً تشعر بأنها لا تعيش لكي تأكل بقدر خوفها مما يحمله صراعها مع الدب القطبي والبحث عن طريقة كي لا تُأكل من قبلهِ

هاجسها بتفادي الموت عبر فكّي الدب أكبر من هاجسها في حصولها على الطعام إنها تفكر به طوال الوقت والدب كذلك يمضي جل حياته بحثاً عن الفقمة ذات السعرات الحرارية

يا للهول هم جائعون حتى الموت أعتقد أن حدائق الحيوان هي جنة الحيوانات الأليفة سلوك الحيوان ولغته الجسدية تتحدث عّنا نحن البشر أكثر من أي شيء آخر هم يترجمون ما يسكن أقصى أعماقنا من غريزة صراع الدب والفقمة على سبيل المثال يشبه صراع طبقات النفس ضد بعضها إذ يستمر الصراع والإنهاك إما من الجوع للحياة أو من الخوف منها حتى يصل لنقطة فشل الاستمرارية نقطة التلاشي داخل النفس الواحدة

وما إن تطفو هذه التضاربات على السطح يكون قد مرّ ستين أوسبعين عاماً من حياة الفرد

قال لي أحد الاصدقاء بأن جنة الحيوانات هي بيئتهم الطبيعية وليست حدائق الحيوان واليوم أنا أتفق مع وجهة نظره فحياة الكائنات يجب أن تكون ملكَهم

إنها حريتهم وبيئتهم هي مسَاحتهم الخاصة إذا كنت أطالب فعلا بالحرية لي وللآخرين فيجب أن أنسجم مع فكرة أن الحرية شيء تستحقه بقية الكائنات مثلما أستحقه أنا وبنفس الدرجة

بالفعل نحن الكائنات نشبه بعضنا نحن مخلوقات مفترسة تريد أن تنقض على شيءٍ ما في الحياة وهذا بدوره لا يخلو من الروعة والجمال بل يحتاج إلى شغفٍ كبير أيضاً

لا أشعر عموماً بأني أثق بالحيوانات تلك التي ربما من الوارد أن تنقض عليك فجأة وتؤذيك أو تؤذي إنسان عزيزٌ عليك كما أني لا أستطيع اعتبار الحيوانات كائنات هامشية في الوقت الذي أراها يومياً و آكل من لحمها دورّيا -نحن البشر- نحن الكائنات في نقطة ما هناك نشبه بعضنا

أنا مؤمن بشكل عميق بأنن جثثنا كبشر تنتهي بنفس الطريقة التي تنتهي بها الحيوانات وأن لها نفس المصير إن موتي كإنسان في نهاية المطاف يشبه موت أي حيوان آخر وأن ما يسمى الروح لن تذهب لأي مكان آخر

وأن المادة التي كانت حيّة والتي هي نحن الكائنات تعود لأصلها عند الموت بينما كانت لا تنفك تحاول حماية وتنظيم نفسها مختبأة ٍمن الإيذاء أثناء حياتها القصيرة

بل اعتبر أنه من العدالة ألا تكون ثمة حياة آخرى لأن هذه الحياة وجمال هذا الكوكب شيء عظيم وسحري ولا يُصدق ويجب أن نقتنع بأننا محظوظين لأننا نعيش الحياة ونعيها

من الغباء وقلة الفهم أن أطالب بخلودي لأني حظيت بصدفة أن أعيش الحياة

اليوم ثمة محاولات علمية حثيثة عبر عيادات متخصصة بإطالة العمر كأن يعيش المرء 200 أو 300 سنة

خداع الحكمة :

ليس من الضروري أن أكون متصالحاً تماماً مع أفكاري كي أحصل على السلام الداخلي بل يجب أن اتصالح مع ما تطلبه أعماقي مع نفسي

إن الصراع الهادئ الطويل مع الأفكار والنزعات يحوي في طياته نوعا من السلام النسبي المتبادل بينك وبين طبيعة أفكارك عن الحياة

لا يوجد سلام مثالي للإنسان الذي يرغب أن يكون كاملاً بالمعنى المعرفي والذي يحمل في داخله محاولة الوصول لأقصى حد من المعرفة لكن الإنسان في هذه الحالة يحتاج أن يقتنع في لحظة من اللحظات بأن حياته لم تُهدر هباءً

يجب أن يتصالح المرء مع طبيعة الصراع النفسي داخله بكونه مصير يعزز روعة وقيمة أن يعرف شيء كان يجهله سابقاً

بينما الشعورالقصري بالأمان القطيعي إن جاز التعبير لن يكون جديراً بنزعات الإنسان العقلية المتحفزة إذا ما أراد إثبات شيء لنفسه يتعلق بمعنى وجوده في هذه العالم

. حتى لو وصل في النهاية بأنه لا معنى ملموس لوجوده كمادّة

الأمان القطيعي يجعلك تسير وتنسى وتندمج وتختلط وبذلك يمشي الوقت لكن في النهاية سيكون ثمة لحظة مواجهة مع نفسك لم تكن تتوقعها ولم تجهّز نفسك لها ، أنت تفعل كل شيء في الحياة كي لا تندم أخيراً لأنه هذا موجع وحزين وبائس

ماذا يعني أن يكون المرء حكيمٌ هل يعني أن يكون ثاقب الرؤية و أن لا يغضب مثلاً ، لا يتوتر ، لا يتنازق ، وأن يأخذ الأمور على الدوام برويةٍ وأن يصل لإستنتاجات غير مسبوقة

!مثل هذا كيف يخلق دافعه بالحياة ؟

من يدّعي الهدوء والحكمة في كل أمر سيجد مبرراً لكل موقف مخادع أو حتى وحشي وبالتالي سيكون أقرب لتبرير الغدر من الآخرين

عقلاء العصر يقولون حِكَماً وأقوالٍ لا يطبقونها بل يطلبون من الآخرين تبنيها

غالبية الوعّاظ والمدعو حكمة يفتقدون للشغف والحيوية الفعّالة فبالوقت الذي يتباهى فيه المفكر الحكيم بسِمَتَي الاتزان والتعقل اللتين هما على نقيض من النَزَق والاندفاع سيكون الإنجاز في هذه الحالة حكراً على صاحب الصفتين الأخيرتين اللتين تذهبان بعيداً في المجهول الإنساني العميق نائيةً بنفسها عن حلقات الاستماع الاجتماعية الضيقة التي تبرع الحكمة في الترويج لها من خلال سعيها نحو الأمان والجاذبية وبالتالي اكتشاف نتائج حكمتها عبر التجارب الحرة للنماذج الأكثر إقداماً ومغامرة

. إن الحكيم هو الجبان الذي لا يكتشفه أحد

ظهيرة اليوم التالي :

في البدء أنظر بعين الفضول للأشخاص الذي يظلون مرحين طوال اليوم ثم أشعر بالإرتياح لأجلهم

لشخصٌ قلق مثلي سيكون عبئا أن أبقى مِرحا طوال اليوم ومع هذا أحب لحظات المرح واللعب

أحياناً أفكر بمعنى الطيبة الأصيلة التي تروق لي وهي الطيبة الذكية النابعة من قوة وليست النابعة من تلك المَعالم المتعاطفة الغير بريئة المرتسمة هلعاً واهتماماً مصطنعٍ على الوجوه مثل إولئك -وكما ذكرت سابقاً - يتعاطفون مع الغير ليس لأنهم مقتنعين بأنه يجب أن يكونوا متعاونين مع أوجاع الآخرين بل بسبب تخيلهم من أن يطال مثل ذلك الضرر حياتهم ومصالحهم

الطيبة هي طريقة تفكير تنعكس فعل وتصرف بينما الرغبة بالمواساة والتخفيف من الحزن ما بين الأشخاص إنما هي جيدة وإيجابية لكن لا علاقة لها بالطيبة الحقيقية

أعتقد أن الطيبة الحقّة ليست سمة واضحة في برنامج الطبع الإنساني

الرغبة في المكسب في كل كبيرة وصغيرة تقتل روح المجتمع والحياة والبيئة

سأكون كاذبٌ لو قلت بأني لا أرغب بأن أكون مكتفي ماديّاً فوجود المال يجعل الوصول لبعض الأشياء أسهل لكن الإعتقاد السائد بأن عدم المكسب المادي في أي وضعية يكون بمثابة هزيمة صريحة وأمر يدعو للخجل ساهم بإفساد الشباب بقتل حالة الإستمتاع البدائي بِجمال الأشياء وأسس مع الزمن لإقتصادات أكثر انتهازية من سابقتها وأكثر وحشية في التعامل مع شهوة الربح وتعزيز نفوذ تلك الشهوة بطريقة عمياء

الغرب الأوروبي ربما يعاني أكثر من هذه الجزئية بسبب شراسة اقتصاد السوق وسياسة البنوك وأعمال البورصة وهذا حديث طويل وله مختصوه

وهم الإنشغال :

ماذا يفعل الناس طوال اليوم

!طوال الـ 24 ساعة ؟

أحيانا تريد أن تسأل أحدهم بمسألة صغيرة فيجيبك بأنه غير متفرغ لمدة ثلاثة أيام وأتسائل ماذا يفعل كل هذا الزمن مع أنك تكون شبه متأكد بأنه لن يصنع شيء نوعي بهذه المدة لنقل شيئا يستغرق وقتاً طويل

وَهم الشعور بالأهمية والإدعاء بعدم إيجاد الوقت لحك جلدة الرأس هاجس يسيطر على الناس وبالأخص من هم في سن الشباب إذ أنه أي ذلك الوَهم يكرّس الهاجس لدى الفرد بأنه يجب أن يكون مهماً وذو حضور مهما كانت الطريقة وبالتالي يجب أن يعدو الآخرون خلفه ثم أيقنت حجم الفراغ والنقص الذي يجتاحهم

فالبشر يشبهون بعضهم أينما حلو والفارق الحضاري بين الشعوب ليس إلا قشرة ما إن تنكسر حتى يطفو التشابه

هم متعطشون نحن متعطشون

الفئات متعطشة تواقة لكي تقول إننا هنا في هذه الحياة وعليك النظر إلينا

إنها تريد أن تصرخ بأنها لا تّقل شأناً عمّا هو مرئي ومشهور

هذا التهميش من النظام الإجتماعي يتسبب ببركان من الكبت يُخرج شظايا نفسية مشوهة على شاكلة ذاك الوَهم

بالنسبة للنخبة المثقفة هي بدورها منشغلة مع أهميتها إذ إن المُعجب الأبرز للمثقف الكبير الدارس هو زميله المثقف يريد أن يرن أسمه في الصالونات الأدبية

.!يبدو الأمر طبيعيٍ في حدود حاجتنا للشهرة أما بعد ذلك ؟

*

أشياء كثيرة يجب أن تتغير على الدوام في الحياة لكن دائماً سيكون ثمة حياة تشبه سابقتها و بعد كل هذه السنوات من الأدب والموسيقى والشعر والفلسفة والسياسة والحروب تبدو القدرة الذهنية المتألقة للناس غير قادرة على حمل عبء جهد مئات العباقرة الذين زقّوا التاريخ الإنساني للأمام قليلاً

و أن ما أُنتج دنيويا حتى اللحظة غير كاف بعد لترك بصمة شفافة تذكّر بقوة القلم أو الموسيقى عند اللحظات الحرجة

فحرب أهلية في بلدٍ ناءٍ تستمر لشهر واحد تغيّب مئة عام من تراكم الوعي الثقافي في ذلك البلد وكأن كل ما كُتب من فكر وقيل من أدب إنما كُتب للترفيه والتسلية فقط

. هذا الحقيقة مدعاة للسخرية حقاً

ثم تأتي الحداثة ...وما بعد الحداثة !!في الواقع أشك في أن تنضوي تلك المصطلحات على أهمية قصوى

من وجهة نظري ليس ثمة تصنيف مصطلحي يحدد قيمة عملٍ أدبي وفاعليته إذا كان بالعمق والجمال الكافيين فإما أن تكون الكلمة مُلهمُة عظيمة تصلح لبضعة مئات من السنين وإما لا تكون

لا يوجد لون رمادي هنا

*

أووه الحياة طويلة جداً وقصيرة عندما يريد الإنسان التعلم منها

في أوقات عديدة أشعر بأنه مهما عاش الإنسان على هذه الأرض فلن يتغير شيء ..واقعي بقَدَرِهِ سوى أن يغدو أكثر لطفاً

*

ثمة نصوص أو عبارات فكرية فلسفية يصعب علينا الغوص فيها لأنها تُغرق بالاستعراض اللغوي والإصطلاحي دون أن يكون لها معنىً موحياً

إلى هذا اليوم أقرأ بعض الكتب ويتعذر علي فهم العديد من الصفحات ربما استخلص بعض العبارات المهمة فيما لا تصلني الكثير من التحليلات ويجوز أن تكون التفسيرات السابقة لصفحات الكتاب المقروء تقود لاستمتاعي بتلك العبارات ومع ذلك ثمة تضخيم من هول الوصف الأدبي بوصفه شيءٍ جبّار في حين يحتاج للكثير كي يكون فعّالاً كما يجب

تسعون بالمئة من كتاب العالم ومنذ الأزل يُغرقون بوصف أفكارهم بشكل معقد لأنهم لا يملكون الفطرة الانسيابية للإيجاز السهل والتي تمنحهم القدرة على الخلق والإبداع الذي يفهمه الغالبية

وأقصد هنا بالغالبية الأشخاص الغير متطلعين كثيراً على عالم الأدب مثل العمال العاديون و النساء في البيت

وهذه نقطه ضعف جوهرية في قيمة الأدب والفكرالفلسفي عندما يُطرح للعلن لذلك أنجز عبر التاريخ الكثير من المجلدات الضخمة من ملايين الصفحات كي يقرأها المختصون والتي لم يكن لها ادني فائدة

ولا يمكن بهذا الشأن وضع اللوم على الأشخاص بوصفهم لا يدركون عبقرية المؤلف إنما الإشكال يقع على المؤلف المُغرق بالتعقيد والمغرم بلفت النظر والإكثار من المصطلحات المميزة التي ستبقى خالدة إلى أطول فترة ممكنة ؟ !

ثمة نوع من المفكرين الدارسين ذو نزعة متأنفة وشكل مترفّع وحركات جسد بطيئة وهم على الأغلب أصحاب جزئيات لغوية ماهرة وعديدة اولئك دائماً يكون لديهم إجابات متعددة لفكرة واضحة لا تحتاج الكثير من الشرح فيما يريدون عبر تصريحات شاذّة البقاء تحت دائرة الضوء والنقد الدائمين واللافت

بهؤلاء لغتهم الجسدية التي توحي بالنبوغ في حين جوهر فكرهم لا يكون كذلك فيما يصدرون انطباع بأن لا شيء يهزهم

بينما المفكر الفعّال شديد الحساسية هو الرشيق المضطرب وافر الحركة وغالباً ما تكون أجوبته شديدة الحساسية ومكتنزة عاطفة ذكية

بالنسبة للفن التشكيلي ثمة أمر مشابه من حيث الغموض الإبداعي إذ نتابع لوحات تُباع بملايين الدولارات دون أن نفهم ما تحتويه ولو بذرّة صغيرة إلا إذا شرحها لك صاحب العمل نفسه والذي حتى لو فعل ذلك ستظل كمتلقي غير مستمتع

أستطيع أن أشرد مثلاً في لوحة المرأة الباكية لبيكاسو أو غرينيكا التي تحمل تلميح لتشوّه وشرخ إنساني عميق أو يمكنني الإستمتاع والتأمل بلوحة الموناليزا لدافنشي أو ليلة النجوم لفان كوخ

ثم أتسائل لاحقاً عن سرالعبقرية في الفن التشكيلي هذه الأيام عندما تُباع لوحة غير مفهومة وتفتقر للجاذبية بالمرّة بملايين الدولارات إذ مهما كان معنى الشيء الخفي موحي ولافت لن يكون بروعة الفن المباشر الذي يخطف الأبصار دون أن أعني أن يكون الهدف من تلك الروعة القشرة السطحية من الجسم الفني

موهبة النحت والرسم لدى مايكل إنجيلو كانت عميقة وواضحة كضوء الشمس في غالبية لوحاته كلوحة القيامة أو خلق أدم -

إذا كان الرسّام ذو إحساس عالي وطبع فني ثاقب عليه أن يجعلني أشعر بالقليل من ذلك الإحساس العالي

فَهمِي للخطوات الفنية في محاولتها إنجاز الإبداع الخاص بصاحب العمل مختلفة عن إحساسي بالروعة التلقائية والذي هو أساس العمل الفني إذ من غير الوارد أن يدرس المرء الفن التشكيلي برمته كي يفهم لوحة ما

أفهم أن هناك مدارس خاصة بالفن التشكيلي لكن الإغراق في الإبداع السريالي بماذا سيفيد إذا كان عاجزاً عن تصدير الحالة الجمالية في حدها الأدنى

ذلك الترويج المترفع الفوقي لأهمية الفن والقائم على الخلط بين الشخص المنخرط الذي يعمل كي يفهم الموهبة أو يكون قريباً منها ولا يستطيع النفاذ إليها وبين الموهبة النقية الخام

من وجهة نظري أجمل لوحة هي التي تبدو قريبة من الصورة الحقيقية وأجمل صورة ضوئية هي التي تظهر كاللوحة الفنية .

إن الترويج الثقافي المُروّج له والمسيطر على الفكر وعلى عقلية النقد والتي تجعل الفنان أو الأديب راضياً ومقتنعاً بقالبه غير المفهوم من جهة وتجعل الناقد الغارق بعمله يسمو بنوعية عطاء ذلك الأديب أو الفنان أو المفكر جاعلاً منه إعجوبة من أعاجيب العصر إنما هو مؤذي للغاية

وهو خطأ بنيوي ونوع من الخداع الراقي المُحبب عندما يحاول الإقتراب من جوهر الفن وعمقه السحري الآخاذ

القارئ العادي الذي ينظر لنفسه بأن امكانياته يتعذّر عليها الإقتراب من المُنجزين لذلك الشكل الفني سيكون مقتنعاً ضمنياً بأنه عقله لن يتقبل ذلك الفن ولن يُعجب به إلا إذا إستعصى على فهمه وهذا بالضبط الخطأ الكبير الذي يتم الترويج له ثقافياً ونقدياً فيتم تشتيت القارئ عندما يشعر بنفسه بعيدٌ عن الشخصيات والنماذج المطروحة بالأعمال وبأنه يقرأها بوصفه يقطن في كوكب آخر

ربما من الصعب جوهرياً تكرار حالات شديدة النوعيّة من حيث حجم الموهبة الواضحة على شاكلة موتسارت وهيجو و أنطون تشيخوف و ألبير كامو و رامبو وفرويد وإينشتاين ويوربيديس وغيرهم ممن غالبية نتاجهم يكون جذاب وممتع وبسيطٌ وقريب من القلب وهنا تكمن سِر عبقريتهم

نيتشه أيضاً صاحب فكر جذاب وغاية في الإثارة عندما أفكر بسيرته أشعر بالخيبة قليلاً لأجله فقد ظُلم أكثر من حدود المعرفة التي تحتاجها مغامرته في الحياة لكن نهايته تبدو منطقية لرجل كان كل ما يُنتج عنه متفجراً

نَزقه اللغوي والفكري السليط القاسي لم يطغيا على حقيقة كونه مفكرٌ يجنح نحو الشاعرية القصوى في طبيعة أفكاره هو أحد الشخصيات الذي يروق للمتتبع أن يرى الجوانب المشرقة من نتاجه وحسب

عيبه بالنسبة لي أنه لم يكن يريد أن يتوقف عند الأشخاص المنسيين تحت أنقاض الفكر والمادة وهؤلاء ليسوا بالضرورة من فئة الضعفاء الذي يمقتهم كان في مشواره نحو الألق الفكري يفضّل الوقوف على جثثهم الممزقة وحظهم السيء كي ينعتهم بالحثالة بينما هو نفسه عرف الشعور البائس في العديد من مراحل حياته وما قبل نهاية رحلته في الحياة

الشيء العميق والسحري الذي كان يسيطر على فكره الفذ كان في حقيقة الأمر يضغط عليه بوصفه بعيدٍ عن تحقيق هواجسه بالطريقة التي يرغبها تماماً فتكون بعيدة عن متناوله وهذا أكثر ما كان يعذبه ويستفز مشاعره ويجعله قاسياً في كثير من الأحكام

كان يبتغي عالمٌ مثالي يمتلكه على الدوام لكن أيضا يحتقره على الدوام

ولا أعتقد أنه بدا متناقضاً في هذا على الأقل في العديد من أعماله الكبرى

. لقد كان فعلاً صرخة عظيمة ومدوية في عالم العقل

من زاوية تخيُّلية وبعيداً عن إمكانياته الأدبية الجبارة أتخيل شكسبير وفقاً للطقس الأميري البريّطاني بأنه كان بروتوكولياً ولا يختلف بشكله الحياتي عن منظومة التبعية الملكية السائدة في بريطانيا و أفكاره حسبما تشي أعماله العظيمة كانت ترفض أي تمرد على منظومة العرش الملكي يبدو لي عكس ما كان عليه أُناسٌ غاية في الشفافية والصدق مثل أنطون تشيخوف وفيكتورهيجو اللذين كل ما قاما به أو كتباه خلال حياتهما كان جديّاً حيويّاً وعميق الغور كانا واقعيين انسيابيين إلى أقصى حد

بالفعل أكثر ما عاني منه التاريخ الأدبي والفكري عبر مسيرته كان الفقر في طرح شاعرية الفكرة التي تُقنع إذ لطالما احتاج العالم للفكر الذي يحترم أشياء الحياة العميقة عبر سرد لغة خام ونقية ومتفجرة

لا تروقني أشعار توماس اليوت فبعيداً عن شعره المترفّع الذي لا ينضوي برأي على الكثير من الموهبة فإن نظراته التي تحاكي المثقف المتأنف يعزز من نظرتي بأنه يفتقد لحساسية ونزق الشعراء العظماء رامبو – ناظم حكمت – طاغور- هوميريوس _محمد الماغوط وطبعاً ثمة شعراء من كافة الأنحاء روبرت بروك

رياض صالح الحسين -ديمتري ديبليانوف يمتلكون الموهبة الشعرية النَزقة – المتواجدة لدى عظماء الشعر

بينما اليوم يبدو لا يوجد صبرٌ كافٍ للكثيرين من أجل قراءة كُتّاب عباقرة فعلاً مثل ماركس و ديكارت وهيغل رغم تأثيرهم الكبير وأعمالهم العظيمة

الأدب الجذاب يحتاج المغامرة والولوج والقدرة على شمّ الروائح روائح الأشياء روائح الباحثين عن الأحلام عن جدران الأبنية الكلاسيكية العظيمة المنتبهين لصدى صنبور الماء بينما يشح هناك يعيش القلم

وذواقة الكِتاب في العصورالنصف محترمة وعصر الإفراط المادي المسيطر في الغرب يفتقدون إلى حساسية النظر للأشياء

في دمشق القديمة كنت أراقب وجوه السيّاح الأجانب الأوروبيون وكنت أشعر لكم هم بعيدون بعيدون عن تحضّرهم الواضح و بعيدون عن شيء يجب ألا يكونوا بعيدين عنه شيء يخصهم أحّسه فقط

كل الناس على حد سواء مهووسون بالأفكارالملغزة والكلام الغامض غير المفهوم ويبدون إعجابهم دون أن يفهموا الكثير مما يقرأون

بواقع الأمر هم غير معجبين بالأفكار المطروحة بقدر ما يروقهم إختبار حدسهم الأدبي هنا وهناك وهذا ما يجعلهم يطلقون على أنفسهم مثقفين بينما لا يعترفون بالأشياء التي لا يفهمونها وبذات الوقت يسلّمون في دواخلهم بأنهم ليسوا بمستوى الكاتب الكبير الذي يجيد السرد وهذا كذب على النفس و خطأ بنيوي في العقل الذي يريد تعاطي الأدب والفكر فلا يجب أبداً الاعتراف بالهزيمة أمام الكاتب وبأننا دون المستوى المأمول لمجاراته لاحقاً وبأنه من المحال الوصول لمستواه مهما كان عظيماً

التفرّد ، الإبداع ، النبوغ الفكري حالات خاصة و لن تكون حالات خاصة مستقلة وذات صلة إذا كان من المستحيل شرحها أو إيصالها للقادم الأقل موهبة .

إن انتقاد العصور ليس محض موضة ولا هو بإشكاليه عصرية مؤقتة بالنسبة للعقل المفكر

وإنما هو ضرورة حرة تضع نصب أعينها التوقّع الذي يحاول تحسين صورة الحياة على الدوام

العودة إلى اللحظة الأبدية الواقعية الزائفة :

ألم الشعور بالوحدة مُنهك

رغبتي أن أحدّث أحد الأشخاص تسيطر أحياناً على اليوم بأكمله

الآخر الشبيه مثلي وحدته تهيمن من زاوية أخرى

بتّ أعرف الأشخاص الذين يعيشون مع الوحدة من خلال معرفتي بنفسي على الأغلب عيناهم غائرتان

... الوجه لا يكون بالضرورة حزين بل السلوك هو الحزين

الروح المعذبة مجازاً – الأبدية – ماذا تعني بعيداً عن الاستنزاف اللغوي الذي لا ينتهي ولا طائل منه

!لنعتبر أن الإنسان القلق على الدوام هو النفس المعذبة ؟

والافراز الفني الجذاب لتلك النفس المعذبة هو لغز الأبدية الإنسانية الحالم والأبدية الإنسانية ضمن هذا الإطار هي نوع من مبالغة ثقافية مُكرّسة ومتراكمة عبر العصور لترجمة و وصف تجارب لأشخاص نادرين غيروا التاريخ

ومن خلال هذا المعنى تصبح الأبدية بوصفها ذلك الإنشغال الشخصي والذي لا يَنضب بالخلود .

أما الإفراز الواقعي للروح الفنية الحزينة فيقول إن الإحساس بالأبدية الإنسانية هو التعبير المفرط عن الأنانية الشفافة للكائن والإحساس الواقعي الملموس بها

إن هذه الإختلاجات موجودة داخل الكائن وأن هذا النوع من المحاكاة يدور في عمق الإنسان على الدوام

سأستبدل هنا مصطلح الأبدية بمصطلح مستقبل الإنسان

بالفعل الإنسان يحتاج أن يعيش أكثر من سنوات حياته كي يصل لحقيقته المعنوية لكن المفاجأة ربما تكمن في أن مستقبل الإنسان ممكن أن يتحقق خلال لحظة واعية في حياته القصيرة التي يحياها

مستقبل الإنسان ممكن أن يتحقق قبل مستقبله البعيد المُعاش بالسنين وقبل موته وذلك ربما عبر لحظة استشفاف وانفلات طاقة مفاجئ وغير محسوب تحاكي ذكرى مشوشة تحيط بأمانينا الخاصة

إنها لحظة العودة إلى الرحم والعودة إلى اللانتماء اللذيذ بشتى معانيه والذي يوفره عالمنا الباطني

إلى البرعم الذي يتبنّى ذكرياتنا القادمة

أنا أشعر بذلك وأحب التفكير به

إن المستقبل النفسي للإنسان هو لحظة واقعية مُعاشة وليست معنى لحياة حقيقية قادمة سيعيشها جيل بعينه ولن يكون بالمحصلة ترجمة لفكرة غيبية ستتحقق يومٌ ما

لكن ذاك المستقبل لن يكون إلا في نفس من يستشعر الإحساس المتعاظم بالبهجة الهائلة الغير مفهومة بمقابل لحظات مشابهة من الإحباط والاكتئاب المزمن التي ربما تؤدي للانتحار كفعل مضاد لتلك السعادة

بالواقع هذه لحظة الإنسان المختلف عن البقية إنها سرّه الخاص

ذاك النموذج من الناس لن يمكنه العيش بلا توجهات ذات نزعة مستقلة فردانية و طوباوية أحياناً بينما من جهة مقابلة سينظر المفكر الفيلسوف متحدياً وأحياناً ناقماً على ذلك النموذج الخلّاق بوصفه يعاني من مواطن عدم الجدية وسينزعج دائماً من عجزه تجاوز معنى وجود ذاك النموذج القوي وسحره الطاغي وصعوبة عدم التفكير به

إن المستقبل النفسي للإنسان الحساس العاطفي الذكي إنما هو مختلفٌ عن مستقبله الزمني أي عن عمره لكن عليه أن ينبش ذلك الإدراك من خلال محاكاة فنية مزمنة وشديدة الخصوصية

هل أتحدث هنا عن نفسي مثلاُ ؟ ربما ، ولما لا ، فأنا إنسان أشعر يقيناً بإنسانيتي وأحب أن أحياها حلماً وواقعاً وأعبّر عنها بكافة الوسائل الُمتاحة

فأحلامنا اليومية وتعلقناً المستميت بالأشياء وطاقتنا العاطفية التي لا تجد مترجمٌ لها

هذه الأشياء هي لحظة الأبدية الزائفة والواقعية بذات الوقت الأبدية الحاضرة التي على قيد الحياة وليست التي ستأتي يوماً

أنت تشعر في أوقات عديدة بأن شيئٌ ينقص رفاهيتك الحالية وتقول في ذاتك لو كان هذا الشيء موجود فإن سعادتي ستكتمل لكن في حقيقة الأمر وفي هذه اللحظة يكون شعورك بالسعادة كافٍ ووجود ذلك الشيء الناقص سيقلل عملياً من إحساسك الحالي بالسعادة ومن شكل توصيفك لها

أنت سعيد الآن بما تملكه ولن يضيف الشيء الناقص الذي تتخيله من روعة اللحظة الراهنة التي تحسها فعلاً بل ربما يقللها وسيجعلك لا تشعر بها كما هي الآن أي في لحظتها تحديداً

إنك تجلس في حديقة مستمتعاً مع عائلتك بأجواء من المرح والألفة ثم تقول في نفسك -لو أننا بجانب البحر سعادتنا تكون أكبر ولكن ليس حتميٌ أن تكون السعادة أكبر ففي تلك الحالة ستكون ثمة سعادة تنوب عن السعادة الأولى إنما ليس بالضرورة أن تكون أشمل و أعمق

الشعور السعيد الحالي هو الذي يدفعنا في التفكير بسعادة قادمة أكبر وأكثر سلامٍ لكنها قد لاتكون أي السعادة القادمة المتخيلة أعمق من السعادة اللحظية الحالية الأكثر حدساً والأوضح شغفاً

لكل إنسان منّا سعادته الخاصة

الشعور الأبدي المستقبلي هو شخصي يمثّل كل إنسان فينا

فكل كائن جسدي هو المستقبل الأبدي الذي سينتهي بموت المستقبل النفسي

هو الجثة الهامدة ولكنها الجثة التي عاشت أبديتها

لو عرفنا جميعاً أين تكمن لحظة المستقبل المعنوية لتمنينا أن نعود إلى الوراء إلى زمن لا نعرفه بل نشعر بلحظاته ذلك الزمن هو اللحظة الكامنة هناك في البعيد في النفس عينها

دائماً ما يتحدث الفلاسفة والمفكرون عن السعادة والموت والعبثية والعدم

فتلك الأشياء هاجس الفكر إنها الحرمان من الاكتمال المعنوي التي تمثله لحظة الأبدية الواقعية

الطفل الصغير يغفو هنيئاً بينما يرضع الحليب من ثدي أمه إنها لحظة الارتواء الكامل من الشعور بالإستسلام السعيد وإرتخاء الأسارير و نحن دائماً نبحث عن ما يشبه وضعية الطفل الصغير الغافي

وضعية أن تعبر أمام الجبال والبحار بينما تستمع مثلاً للسمفونية أربعين لموتسارت

! لحظة الكمال المعنوي هي عالم الطفولة وليست عالم الرجولة

لطالما تحدث الطب النفسي عن الوعي الغير مدرك لماضيه الغير متمكن من ذاكرته النفسية

اللحظة المكتملة الوعي هي المستقبل المُتَمَنى وبذات الوقت هي التي لا شأن لها بتطور الحضارة الإنسانية إذ أن الزمن يسير لا شأن له ....هذا هو عالم الإنسان . بحق

بعد لحظات :

لنشرد لحظة

الناس يحبون قصص الأنبياء ويجلونها لكنهم أيضاً يشعرون بالنقص حيالها وبذات الوقت لا يسمحون لأحد بتناول نبيهم بسوءٍ ذلك لأن إهانة النبي بالنسبة إليهم هي في حقيقة الأمر تعرية لنفسيتهم وفضح لمشاعر النقص التي

يمثلها تقديسهم لذلك النبي وتمسكهم بالأفكار التي جاء بها هي تأكيد آخر عن الضيق الذي ينتاب خيبتهم ونكستهم العاجزة وبالتالي الشعور بعدم قدرتهم عن مجاراة تلك الأفكار التي يتمنّون أن يكونوا أبطالها وعليه يصبح التسليم والتصديق السريع بما جاء به ذلك النبي هو أفضل خيار بل أفضل خيار بالنسبة إليهم

ولكن هذا لا يعني بالضرورة تصديقهم للصفات والمعجزات التي وصفتها الكُتب والأحاديث الدينية عن ذلك النبي لكنها تصديق لصفاتهم الأقل شأناً والأكثر غموضاً وتأييداً لعالمهم الممزق الصعب الإلتئام وسط إحساسهم الدفين بالرضوخ والتسليم والأمان

فعلياً نحن البشر عالمنا ممزّقٌ صعب الإلتئام وهذا لا يعني أننا سنقضي حياتنا تعساء بائسين فإدراك الأمور من جانبها الواسع لا يعني بالضرورة الغوص المقيت في الجانب الغير مترابط منها الأمر الجيد بالنسبة للمعنيين بالفكرة السابقة أنه ليس ثمة حزن بل هناك تصالح مع ذلك التضارب وشعور بالأمان من خلاله

بشكلٍ عام لا يوجد راحة كبيرة بالحياة ثمة الكثير من التعب والجهد علينا أن نتحمل ونكون صبوريين والتحدي هنا هو هل نستطيع الصبر حتى النهاية ؟

الحسرة والعنف والشفقة والشهوة هم سمات رئيسية تتحكم بطبيعة البناء النفسي للكائن البشري وتعبر بشكل خفي عن حاجة العالم الإنساني للحزن بقدر حاجته للعنف كإنسان يجب علي دائما أن أجد مقايضة متوازنة للتعامل مع تلك المشاعر .

*

بات حديثي مؤخراً يفتقر لحس الفكاهة بات جديّاً وثقيلاً أكثر من اللازم

وفي هذه الأثناء أنا نفسي ثقيل أكثر من اللازم

ولكن من جهة اخرى الحياة بسيطة ومسليّة وتجلب الكثير من المرح في الواقع أنا أحبها وأشعر بإثارتها في كل تفصيل من تفاصيل حياتي حتى لو كانت تلك

الإثارة باردة وذات مستوى منخفض من الشغف الذي اعتبره شيء أساسي بقيمة الإستمرار بالحياة الطبيعية

أسأل نفسي أحياناً - هل أعقّد الأمور ؟

إحدى المرات سألت امرأة إنكليزية ضحوكة إن كانت سعيدة فأجابتني *بنعم إن الحياة مضحكة *كانت امرأة ضحوكة دائماً

وسألت إمرأة هولندية إن كانت سعيدة فأجابتني ببهجة فيها شيء من الإفتعال على الطريقة الاوروبية :نعم أنا سعيدة مع ابنتي و بشكلٍ خبيث نوعا ما من قِبلي عرفت بأنها ليست سعيدة مع زوجها ؟!

وسألت جاراً لي في حيّنا هناك في دمشق عن سبب مرحه طوال اليوم ؟ فأجابني إن الحياة لا تستحق أن يغتم المرء لأجلها ..يا لها من بساطة!

أنا أفهم طبيعتي على هذا المستوى في أوقات عديدة لا أستطيع أن أكون بسيطاً على هذا النحو ومتقبّلاً لكافة تحولات الحياة بسلاسة لا أقتنع بأن الجمال يسكن في الأشياء التي لا أحسها أو بالأشياء الساذجة

ولا أصدق بأن الفرحة تسكن في الأماكن التي لا أفكّر بها فلطالما آمنت بأن البهجة والشغف تعشعشان في الأشياء التي تهزني من الداخل والتي تجعلني أستمتع بطريقة تفكيري وبالأشياء التي تخطر في ذهني

أعتقد أنه من غير المنطقي أن يطلب الإنسان السعادة التي يسمع بها أو يعرفها بشكل دعائي وحسب بل عليه أن يطلب اللحظات المُلهمة المُبدعة التي تقوده بدورها إلى مستوى آخر من المشاعر المتفاقمة العظيمة والتي ينضوي تحتها مفهوم *السعادة *الذي اعتبره مفهوم سيء النية ومخادع في مواطن كثيرة لأن بعض المحفزين في هذا المجال يستندون كثيرا بطرح مفهوم السعادة على ابتزاز مشاعر الأخرين بجعلهم يتحسرون لأنهم نهم يفتقرون للحظات سعادة عايشوها هم أي المحفزّين وبأنه علينا نحن الذي لا نعرف أين تكمن سعادتنا وهذا إدعاء فوقي ومتكبر بطبيعته أن نجد سعادتنا الغائبة عن إدراكنا بوصفنا حسب طريقة شرحهم لا نصل بعمق لمعنى اللحظات السعيدة بالحياة

أعني أن التنظير في هذا الشأن يخلق حالة من اللهاث خلف شيء شخصي جداً ومتعلق بكل فرد على حدا و أتحفظ جداً بتحويله لنقاش نصائحي لأن هذا غير ناضج بالنسبة لي بالأخص إذا لم يركز على الشغف ..

السعادة هذه الدعاية الأبدية المُغرضة تغدو شديدة الفضول وسيئة السمعة إذا ما حاول المرء البحث بحق عن تفاصيل شديدة التحدي والإثارة في شخصيته ومواجهتها بشجاعة

السعادة على الأغلب لن تكون مصير الحياة على الكوكب وهذا لا يعني أن العكس سيتحقق أي التعاسة لأنها أيضا ليست تعريف لمصير ختامي لأي شخص مهما كانت نهايته صعبة

أرى أن التعاسة هي غياب الشغف بشكله الكامل عن أجواء الفرد ليحل محله بلادة المشاعر والشعور المُنهك بالفراغ ..

ما أريد قوله أن الحياة ليست مجرد مفاهيم لأن هذا تسطيح للظروف وللأسباب التي ينشأ الفرد البشريِ من رحمها

إحصائيات الأمم المتحدة عن أكثر الدول شعوراً بالسعادة لا معنى لها

لأنه من المرجح أن يكون الشخص محدود المعرفة أو ضيق الأفق شخصٌ سعيد وفق مفهوم الأمم المتحدة للسعادة ..

بالنسبة لي اعتبر أن أعلى مستوى للإدراك والرضى هو محاولة أن يفهم المرء نفسه

يجب أن نفهم أن محاولة فهم أنفسنا ليس بالأمر البسيط وأن كثير من المعاناة تنضوي خلف هاجسنا حول أنفسنا

*

أحسّ بأنني تحدثت بكل ما كتبته فيما سبق بنوع من التعالي و الموهبة

إذا كنت أدرك الكثير من الأشياء عليّ إذن أن أقدم فائدة عملية أكثر من الذين لا يعرفون وإلا سأكون مجرد ثرثار متعالٍ...

***

عندما أكون في الطائرة في السماء وتكون العِمارات كرأس إبرة والغيوم تسبح في الفضاء أعرف حجم الروعة المكتنزة بهذا العالم

فهذا العالم هو نفسه الذي كانت الديناصورات ترجّه منذ ملايين السنين بالفعل ثمة جمال لا يُصدق في هذا الكوكب وثمة نفوس تتعب من جمال هذا العالم وأنا أحد هؤلاء

من المحزن ألا تتحقق بعض أحلامنا أحلام الآخرون

أعرف أشخاصٍ قرويين بسطاء تمنوا رؤية البحر وماتوا دون أن يروه أشخاصٌ تمنوا رؤية الطائرة وماتوا دون أن يركبوا الطائرة

... أشخاصٌ يعيشون في مناطق حدودية وتمنوا رؤية العاصمة

أفكّر بالأمر ماذا سأعني أنا وأحاديثي لأولئك الناس البعيدون عن الأحلام عن الأمنيات العادية الهشّة

. بالفعل هذا العالم مبني على أحلام تتحقق وأحلام تآبى

.إن هذا العالم البَهي هو الحظ السعيد لأُناسٍ كانوا سيرتجفون بِرداً من دونه

***

أصعد الحافلة وأراقب الوجوه وأتسائل عن السعيد والتعيس منهم

من سيعيش حتى العام المقبل أو من سيعيش أكثر من الآخر

كيف سيكون شكل المسن الذي أمامي بعد عشر سنوات ؟

والطريف الذي لا أستغربه أن كل من في الحافلة ينظر إلي ويفكر بنفس الطريقة

هذه التساؤلات الصامتة البسيطة هي سبب تشابك العالم ببعضه

وقُبلات الاشتياق المحمومة بين الناس هي التعبير الجارح عن تفاصيل الشرود الصامت

ثم رجال الأعمال والأثرياء و السياسين الكبار وقتهم محسوب بالدقيقة كيف يمكنهم العيش بهذه الطريقة كالآلات نعم هذا سبب ثراءهم ونجاحهم ولكن كيف ذلك ؟

إنهم دنيويون جداً لكي يستطيعون فعل ذلك

أعتقد مثلاً أن رجل الأعمال العالمي يمضي أكثر من ثلث حياته بين السيارة والطيارة والمكتب غريبون هؤلاء القوم

حتى نجوم الغناء والتمثيل لا أستغرب سبب انتحار البعض منهم إنهم ملاحقون في كل دقيقة من الإعلام هذا الأمر سيؤدي بهم إلى الهاوية ما لم يكونوا سفاحين أو تجار مخدرات لأن هذا الصنف الأخير من البشر يعرف جيداً كيف يحتقر الناس وكيف يقلل من أهمية وجودهم .

بالنسبة لأمثالي قدرنا هو العالم الذي نعيشه وهو الذي يتبناه قلقنا وكذلك محاولتنا الولوج نحو جمال مطلق هذا ليس وَهم وأيضاً ليس ثمة خيار آخر فالخروج من هذا العالم يعني دخولنا في تفاصيل مشوشة غريبة عنّا إلى حد بعيد بينما نفضل أن نبقى بالبقعة التي تجعلنا نرى من خلالها الجَمع الذي يدفعنا للإلهام

ليس تحدٍّ بالنسبة لي الانخراط بالغرابة الحياتية فإذا كنت مخطئٌ في تقيم أمر ما يخص رؤيتي المستقبلية الفكرية فعلى الجهة المصيبة أن تضمني إليها

خاطرة :

أحيانا أشعر أن جسدي عبء علي وبأني أريد النوم في سبات ثلاثة أو أربعة أشهر كحيوانات القطب الشمالي

يتملكني الغوص في ظروف الحيوانات ومغامراتهم وحياتهم البالغة الصعوبة والقسوة

بالأمس .فيلمٌ وثائقي ، تمساح يستهدف غزال في مستنقع مُوحل شبه جاف تتجمع حوله الحيوانات كي تشرب هناك في إفريقيا

بادئ الأمر قاوم الغزال عضة التمساح ذو الفك الكبير

لحظات ويتراخى فك التمساح عن عنق الغزال ويفلته وبينما يدور الغزال حول نفسه لاستعادة توازنه في ثانية أو أكثر بقليل ينقض التمساح مرة أخرى ويجهز عليه

لحظة العودة للتوازن لم تسعف الغزال ولم يكن محظوظٌ

أحيانا وبينما تمضي ثلاثون عاماً محاولاً الحفاظ على توازنك يحدث بالصدفة شيء ما ينزل بك إلى الهاوية من جديد فيما اللحظة الفاصلة لم تكن كافية للتماسك من جديد .

*

دائما أصدّر إحساساً قمعياً للذين من حولي بأنهم لا يستطيعون خداعي هذا دفاعي لما أملكه من لذة رومانسية تجاه أشخاص ليسوا أشرار لكنهم ماكرون أكثر من اللازم

لستُ ذكيّاً لكن يجب أن يعرفوا أنهم أقل مني نقاءً عندما يحاولون الاستهتار بعقلي ومشاعري بأساليب رخيصة وخصوصاً عندما يلجؤون للتملق والمجاملة كوسيلة ناجعة للمرور

أحيانا يحتاج الأمر للقليل من السادية إذ أقول في نفسي يجب أن يخسروا ويتألموا لأنهم فكروا بهذا

بعد قليل الساميّة :

مؤخراً فقط منذ سنتين أو ثلاث من تاريخ كتابة هذه الكلمات علمت تماماً ماذا يعني مصطلح معاداة السامية بشكله القانوني في السابق كنت أسمع به وأدرك الشكل السياسي منه ثم اتضح لي أنه شأن تاريخي تم تفعيله على خلفية معاناة

اليهود وبالأخص بعد ما جرى لهم أثناء الحرب العالمية الثانية)1945-
على يد ألمانيا النازية من عمليات تطهير شاملة جرت بحقهم(1939

ومن ثم تعرفت على مصطلحات دينية إسلامية طوائفية ك شيعة وسّنة لم أكن أعرف ماذا تعني تماماً إلا منذ سنوات قليلة تحديداً منذ الغزو الأمريكي للعراق وانقسام أغلب العراقيين بين تلك الطائفتين

ثم علمت أن معاداة السامية تعتبر جُرماً يعاقب عليه القانون في النُظم السياسية لغالبية دول العالم المتقدم وعلى وجه الخصوص الدول الأوروبية!

حتى أكون صادقاً أشعر بالسخف لأجل ذلك فماذا يعني إن كان اليهود أوالفُرس أو العرب أو الأوروبيين على سبيل المثال ساميّين أم لا ؟!

مع العلم أنني أُدرك دوافع التسمية التي من الممكن تفهمها لوقت معين لكن ليس عندما تتحول إلى إنطباع أبدي يتم من خلاله الإشارة إلى فئة من الناس لأن مثل ذلك القانون يكون على المدى البعيد مُهين لتلك الفئة بالدرجة الأولى ولأن استثمار القانون يكون قد جاوز حدوده ولفت النظر إليه بشكل شاذ وليس عبر قنوات ثقافية وإنسانية متجذرة

فعندما تتجذر فكرة بأني سَامي كيهودي أو عربي مثلاً أكون أتوماتيكيّاً قد نشأت على أن أتربى رفقة نظرة أصولية للأشياء وللأفكار وللحياة عموما ويكون قد تكرّس في بناء شخصيتي شعورٌ عميق بالمظلومية عند كل إنتقاد يمس مجتمعي أو عشيرتي أو بنية تفكيري

ثم لماذا أعاقَب قانونيّاً على تسمية أساسها تصنيفي وانتقائي وأصولي رجعي بينما يدّعي العالم المتحضر مكافحة العنصرية والتعصّب!!

هذه النزعة الأصولية الرجعية في التعاطي مع مشاكل الشعوب لا أجد لها أي مبرر إلا ذريعة تفشّي الدبلوماسية المتملقة

أجد من الغرابة على سبيل المثال أن يَعتبر اليهود عدم النظر إليهم كساميين بالمقام الأول مسألة مصيرية أو أن تطغى على حقيقة ما جرى لهم سابقاً إلا إذا أعتبرنا أن شعورهم بالاضطهاد بات متلازمة لا يجب أن ينظروا إلى الكوكب إلا

من خلالها مثلما تحدثت آنفاً ؟ !هل ستظل معاناتهم مرتبطة بتلك التسمية إلى الأبد ؟

وهل كونهم غير ساميين على سبيل المثال سيُلغي ما جرى بحقهم من عمليات تصفية وتنكيل إبان الحرب العالمية الثانية

وهل أناس موهوبون مثلاً– كهيغل وفرويد وأينيشتاين ونيتشه لا يكونون !! عباقرة أو مهمين ما لم يكونوا من أصل سامي

!!! والسؤال الأهم هو :هل غير الساميين حثالة مثلاً

أفهم أن القانون جاء لكبح معاداة اليهود في الأوساط الأوربية لكن الإستثمار السياسي له يُصيب بالغثيان في الواقع

ليس رأينا ونحن في هذا الزمن هو العنصري حيال ما يتعلق بالسامية وإنما المحاسبة على تسمية أساسها تصنيفي هو المعيب

التسمية التي تفرّق بين الأعراق وتجعلهم طبقات

وعلى المثقفين من اليهود أن يُفهموا البقية من أبناء جلدتهم بأنهم أوعى من ذلك وبأن ثمة من يستهتر بعقولهم ويروج لمظلومية أبدية كي يجعلهم قطعان منقادة عبر برنامج سياسي شديد المصلحية والأدلجة

من الصعب العيش وأنا أشعر بأني مظلوم ومضطهد طوال الوقت هذا مؤذي جداً .

*

الوحدة الغير أليمة :

كلا منّا سيذهب حيث تمنّى طوال عمره حيث رغبته الطويلة وفضاءه الصامت هناك إلى حيث ينام نوم طويل هناك إلى الوحدة الغير أليمة.

أشتم العطور والروائح مثل ذئب هناك في المولات الكبيرة المغلقة حيث تأكل المجاميع بعضها البعض دون معاشرة عبر مئات من أقلام الحمرة والملطفات والسيقان والنهود في اللحظة عينها ألتفت فأرى عشرات الأشخاص يصعدون السلالم الكهربائية خلفي مثل جرذان

.... بالفعل هذه الغابة المتحضرة البشرية الأنيقة لا آخر لها

أشعر بالإثارة بينما أراقب الناس تمشي وتوتوت وتلهو وتبكي وأحس أحياناً بأني ألفت نظرهم إذ باللحظة التي أختلس بها النظرات نحو الجميع سيكون ثمة من ينظر إلي

لطالما هذه الإثارة مدتني بالدافع وبالوحدة الغير أليمة

لطالما زودتني هذه الأحاسيس بالمعرفة إلا أن خلف تلك الضجّة المريبة تعشعش الأشياء الغريبة فالتأثير يولّد التأثير

أحياناً أرفع رأسي للأعلى وأنصت لأصوات البشر والقطط والكلاب ولمزامير السيارات البعيدة والقريبة دفعة واحدة فأشعر بالغرابة والفراغ وأحياناً بالهزيمة والإنتصار معاً

الشيء الذي يثير حفيظتي بالدنيا هو شعوري المزمن بالهشاشة واللامعنى حيال الجدوى الكامنة في وجود الإنسان من عدمهِ لكن بذات الوقت هو الشيء الذي يبهرني ويجعلني مسحوراً

.وجود البشر وسَعيهم خلف المسيرة الطويلة لهذا العمار الجبار

*

ليس ثمة قضية أعمق من مواجهة الإنسان لوحدته وليس هناك أصدق من ان يفهم الإنسان مشاعره

تلك المعركة التي تدور رحاها بين المرء وظلّه بينما يواصل العالم بحثه المضني عن تّآلفه المنسجم الخاص

يتبنى الناس قضايا عديدة في الحياة كي لا يضطروا لمواجهة قضيتهم المتجذرة وهي مواجهة وحدَتهم فالموضوع مكلف بالنسبة لهم

أحياناً أفرح لكوني الذئب الوحيد هناك عند التجمعات أفهم وأرى وأشعر ما لا يعيه الأخرون حتى لو كان في ذلك مبالغة من طرفي

وأحياناً أشعر بالخيبة لأنني لا أستطيع أن أصحب تلك الجميلة معي في هذه اللحظة بالذات كي نلهو معاً

*

لماذا الجسد هذا اللباس

!أهذا الأكثر أناقة الذي يليق بنّفس الكائن وطاقته ؟

الجسد من أجل الحب من أجل عيني الإنسان

ما أجمل عينا الإنسان

لا تستهويني فكرة الهوس باللاختلاف أو التميّز على طريقة مُثقفي الحالات الخاصة هذا وَهم أكثر منه حقيقة ولأن غالبيتهم ينتمون للصنف المتعالي الذي يستخف بالغير عارف

بإعتقادي كل الناس يشعرون ويحسون بنفس الأشياء بصرف النظر عن الفرق بالمواهب والمستوى الثقافي لكن الإختلاف هنا يكمن بأن ثمة من يقف ويفكر بما يحسه ويشعر به بشكل عميق وجديّ وثمة من لا يفعل ذلك

ثمة من يستطيع أن يعبّر وثمة من لا يستطيع التعبير

أعرف أشخاصٌ بمنتهى الشاعرية بل أنهم يجسدون المعنى الحقيقي للشعر لكنهم لا يكتبون الشعر وإنما يتحركون بطريقة شاعرية يتصرفون ويعيشون بطريقة شاعرية .

*

في شخصية كل إنسان منّا يكمن جانب سخيف يجهد الغالبية منا لإخفائه

وهل ثمة أسخف من الشعور بالغيرة إنه فعلاً شعورٌ صبياني وغير ناضج وهو أحد أسخف المشاعرالبعيدة عن التحكم داخلنا بالمقابل يحاول المرء إظهار أمجاده وتوازنه في محاولته تجاوز ونسيان ما هو سخيف به

أعرف العديد من الأذكياء الموهوبين لكنهم غيورون بشكل يجعلك لا ترى إلا غيرتهم السخيفة ..

الغِيرة مشروعة لكن عندما تسعى غيرتي لجعلي لا أرى من هو أفضل مني فعليّاً وبالتالي عدم الإعتراف بأفضليته في هذه الحالة لن أكون إلا مُدّعٍ صغير

لكن الحقيقة أن الجوانب النائية المتعددة المعقدة تمثل نسبة كبيرة من حقيقتنا فمثلا مهما كنت شخصاً مُدركٍ وفاهمٍ لمسائل الحياة سأشعر بالثورة والرغبة بالإنتقام إذا ما مسّ أحدهم أحد الجذور النفسية النائية في أعماقي

في كثير من الأحيان يتحول الأشخاص الهادئون المسالمين بشكل عام إلى قتلة بسبب تلك الدوافع هذه أشياء تحدث في الحياة بإستمرار

لطالما سحرني عالم الإنسان فهو متشعب وغني ومثير للريبة والشفقة بآن معاً ...

.بالفعل نحنا لسنا أكثر من أطفال شهوانية متعلقة في هذا العالم الكبير الُمباح

فطرة التخلص من الأعداء :

إولئك الديكتاتوريون الساديون أصحاب الجموح الدموي المفرط و القدرة على الفتك وأخذ القرار بالهجوم المتطرف !!

ما الفرق بين أي إنسان عادي وبين أي ديكتاتور دموي شهده التاريخ ؟

بالتأكيد ثمة فروقات هذا واضح ولكن أيضا ثمة الكثير من التشابه وهذا بديهي لأننا جميعاً بشرٌ ...

أفكر كثيرا بالقادة الذين تسببوا وقادوا حروباً وارتكبوا فظائع سواء مع العدو الخارجي أو مع من يعارضونهم في الرأي !!يا لها من غرابة وعبث

أنا أستمتع بسيرة بعض الديكتاتورين الذين مروا على التاريخ وأثروا بالوعي بطريقة ما بالطبع لست معجب بهم كشركاء فكريين لي أو كحالة ممكن أن أجنح لها أو أقلدها لست مضطرٌ لقول ذلك لكني أعرف بأنه يجب أن أكون واضحٌ بطرح الفكرة

أنا مهتم بهم كنتاج بشري وحالات إنسانية خاصة من المثير دراستها والتمحّص بدواخلها فلطالما لفتني السلوك المتطرف كظاهرة خارجة عن المألوف

إنهم بحق مثيرون للدهشة إولئك الطغاة أتحدث بشكل خاص ومركّز عن الطغاة المصابين بمَس أيدولوجي ما

بالطبع لا يمكن أن أفكّر أو تلفتني شخصية مستبد رخيص وفاسد ويبدو كقاتل مأجور أو زعيم لعصابة مافيا كالكثير من رؤساء وملوك الدول النامية

أتكلم بشكل محدد عن نموذج طغاة نادرون أثروا في الذهنية السياسية أو الثورية بطريقة ما

لنأخذ مثلاً الديكتاتور والثائر الكوبي الراحل فيديل كاسترو رفقة الطريقة التي وصل إليها للسلطة ونجاته من مئات محاولات الإغتيال الأمريكية وتاريخ بقائه بالحكم عشرات السنوات وموقفه الجنوني عندما كادت امريكا تجتاح كوبا عندما حركت قواتها بإتجاه كوبا بقوله الغريب أنه مستعد للإبادة هو وشعبه مقابل عدم الإستسلام لأمريكا وبالتالي مطالبته الإتحاد السوفيتي حينها وبشكلٍ صريحٍ ومباشر ضرب الولايات المتحدة بالسلاح النووي

هذا يعني أنه مقتنع بقرارة نفسه مع فكرة إبادة جزء من العالم مقابل فشل أمريكا في تحقيق أهدافها السياسية ..

وأيضا وصيته بعد موته بعدم ترك أي أثر له بالحياة الكوبية كتمثال أو صورة أو أي شيء وهذا كان ملفتاً كطلبٍ من قبل ديكتاتور بقي في رأس السلطة لعشرات السنوات..

من أين يأتي كل ذلك العِند وكل هذا الهوس بالفكرة !!إنه شيء شديد الفضول ويترك إحساساً عميقا بالهشاشة

مازلت مرتاباً ومدهوشٍ بواقع كيفية تحول الفكرة لجريمة ..

أعرف أن ثمة خيط رفيع يفصل ما بين لحظة تنفيذ الجريمة وبين ما يدور في عمق أي إنسان منّا وذلك الخيط يتضمن عشرات التعريفيات التي تمنع حدوث القتل مثلاً

إولئك الفتّاكون لديهم فكرة ثابتة برأسهم عليهم تحقيقها بأي طريقة وبأي سلوك وهذه الفكرة مجزأة لمئات التفاصيل التي تهدف بالنهاية لكيفية التخلص من الأعداء وذلك لأنهم لا يستطيعون الإستمرار بقوة وهذا شيء أساسي بالنسبة لهم إلا في فلك تلك الفكرة التي تستحوذ على عقولهم وهواجسهم

ثم فهمت أنه خلف الفكرة السياسية خاصتهم يكمن ذلك البئر النفسي المتشعب النائي

في حالة كاسترو ربما تملكه إحساسٍ ثابت وعميق بالظلم والإضطهاد وهذا ليس بغريب عن شخصية مُحامي ناشئ ككاسترو الشاب وبالتالي تملكته فكرة طوباوية بالعدالة جعلته ذلك الرجل العنيد حتى آخر رمق وعندما يَظلم أو يأمر بتصفية أحدهم سيقوم ذاك الإحساس القديم بترميم أي شعور بالذنب لديه وبأنه يفعل ذلك ليخدم البقية وفي الواقع هذه بعينها بيئة النزعة الثورية المكتنزة بالطاقة والهَاجس والتمرد وفي خضم هذه السمات الهائجة المضطربة وبسبب تفاقم الظروف تتفاعل غريزة خاصة بالعنف تسير محاذية لتفرض تدريجيّاً ايقاعها الصارم على طبيعة الفكرة

ثمة سؤال ساذج يُطرح أحيانا في الأوساط الليبرالية وهو أن فُلان لم يكن ثورّياً بل كان ديكتاتوراً !!

ومن قال للذين يطرحون تلك الدهشة بأن الثوري لا يتسم بالسلوك الديكتاتوري الفكرة الثورية قائمة على فكرة ثابتة تجاه ظروف الحياة وهذه الفكرة تصّر ! على إثبات ذاتها من خلال نقيضها أي خصمها فتأخذ أشكال سلوكية معينة وهذا السلوك يكون في كثير من الأحيان عنفيٍ دمويٍ

رجل مثل تشي غيفارا كان ثوريّاً كبيرٌ لكنه كان ديكتاتوراً في الكثير من قرارته عندما أقترب من دائرة أخذ القرار

في المنطقة العربية كان هناك الرئيس المصري جمال عبد الناصر وقد كان شخصية ثورية لكنه كان ديكتاتور في طريقة تعبيره عن مشروعه القومي

... وفيديل كاسترو كذلك

يجب أن يفهم إولئك الليبراليون *الملائكة *بأنه إذا لم تضعهم الظروف مكان إولئك الديكتاتوريون فهذا لا يعني أنهم أبرياء أو أننا أبرياء بمعنى أنه إذا كان متعذرٌ على الشخص العادي أن يكون في ذلك الموضع الديكتاتوري طيلة حياته ! فهذا لا يعني بأنه لن يكون كذلك أبداً وتحت أي ظرف

كل شخص منّا يتصرف بلحظة ما أو موقفٍ ما بشكلٍ استبدادي أو قمعي

تلك آلية حماية متوفرة لدينا جميعاً بنسبٍ متفاوتة وبظروف مختلفة ويتم تفعيلها عندما تحين الحاجة

ويجب أن ننتبه هنا بأنني لا أبرّر في الأسطر السابقة لتلك النماذج أساليبها العنفية وإعتقالها لأصحاب الرأي وتكميم الأفواه فالموضوع هنا ليس قبول أو رفض لأنه محسوم بالنسبة لي..

أنا مؤمن بأن على الإنسان أن يفعل كل ما بوسعه كي لا يجعل الإحتمالات تقوده لأذية الآخرين وهذا هو هدف الفن والفكر ...

ما أحدّث نفسي به ديماً هو كيفية إيجاد الطرق التي تجنبنا احتمالات نؤذي الآخرين من خلالها

*

بقدَر ما هو سهل أن نفهم بعضنا بقدر ما هو صعب وعقيم

صعب جداً أن يصل عقلان لبعضهما من أجل ذلك يتشاجر الأزواج حتى لو

بعد مرور خمسين سنة على ارتباطهم

و من أجل ذلك تذبح الشعوب بعضها مع أدنى إحتكاك

من أجل ذلك يذبح دكتاتور ما الآلاف إذ لا يطيق أن لا يفهمه الآخرون

إنه انتصار الفكرة على الفكرة

بعد ذلك سأشعر بأن الموروث الجيني يتفوق على الجانب المعرفي بأخذ قرار تصفية أحدهم

مع العقول السابحة والنفوس النهّاشة لن يستطيع الجانب المعرفي المُدرك أن يُهدي إلى الروية والتراجع بقدر ما سيبرر الإثم والإقدام على فعله هكذا تنشب الحروب وتؤكل الكائنات !!!

إن المعرفة في تلك الحالة حالة التصفية ستبرر للفكرة الأقوى شكلياً زوال الفكرة الأدنى شكلياً- الفكرة الإنسان - بشكل نهائي وغير نادم

نحن الأشخاص العاديون ساديون بدورنا مع من نحبه ونرتاح له

نعذّبه نفسياً بأساليب صبيانية كي يظل من يتحملنا يفكر بنا و ينظر إلينا بإهتمامٍ و شفقة

من يحبنا لا يُعتبر الصنف الذي يؤذينا ونحن نثق بعدم أذيته لنا ولذلك لا نتوقف عن استفزازه

الآخر الغريب لا نجرؤ على استفزازه لأننا لسنا على بيّنة بردود أفعاله

إذا نظرتُ من هذه الزاوية لداخل الإنسان أعرف كم نحن مختالون وكم نحتاج للحماية ...

دائما الشكل سهل وواضح مقارنة بالمضمون وفشل المقارنة بطبيعة تناقضاتنا

وعدم صلاحيتها للتعبير عن ذاك التناقض المسبب للفعل الإنساني الكبير هو الذي يجعل من الإنسان إعجوبة من أعاجيب الطبيعة

إذا بدأت محاولة المقارنة سأكتشف بأن كل الناس لديهم موهبة التمثيل والمناورة وبأننا مخادعون لطفاء فنحن لا نقتل الشاة أو نمزقها بأظافرنا بل نشتري اللحم مذبوحٌ جاهزٍ كي نطبخه ونأكله نظيفاً دون مشاهد مؤذية تُزعج شهيتنا بينما نأكل الذبيحة وسط جو متمدّن وحضاري بين عائلاتنا

مجزرة تُرتكب بحق الشاة والعجول والأبقار كل عيد بعد شهر رمضان في عديد الدول الإسلامية في الأحياء الشعبية في مَصر نهرٌ من الدماء يسيل في الشوارع صباح العيد ورؤوس الأغنام والعجول هنا وهناك الأمر الذي جعلني أتوقف عن تناول اللحوم لبضعة أشهر

من الصعب علي الآن تقبّل رؤية ذلك الطقس الديني الجشع والدموي والمقزز لكن من الغريب أن أكون راضياً عن تناول لحوم تلك الحيوانات بالرغم من ذلك !!

في صِغرنا كنّا نشاهد عن قرب نحن الأولاد عملية الذبح وكان ينتابني شعور خاص سادي مازوخي كانت اختلاجات الذبيحة لاتضايقني ولا تفرحني لكن المشهد برمته يجلب المتعة بطريقة ما وإلا لماذا أستمر بالفرجة ؟

لحظة جّس الذبيحة وما قبلها هي اللقطة الأبرز لحظة تثبيتها ولحظة مفارقتها للحياة ولحظة روية الدماء المهدورة..

مثل هكذا مشاهد ستؤثر لاحقاً بالذاكرة العاطفية للمرء

. أفكر كثيراً بالحاجة الجسدية التي تجعلنا نقبل بقتل الحيوانات كي نأكلها

الطبيعي والوحشي :

شاهدت اليوم فيلماً قصيراً عن دفن عائلة أمازونية بدائية عارية تماماً لأطفال صغار في سن السابعة أو الثامنة بينما هم أحياء

كان الفيلم قصيراً ولم يوضّح سبب الدفن وكان بين الجمع نساءً لا يبدو عليهن التأثر كانوا على الأغلب أمهات وقريبات الضحايا

وفي مشهد آخر أفراد من قبيلة بدائية رأوا مصوراً متمدّناً فأصيبوا بدهشة اللقاء الأول بين طرزانين كانوا كمن يرى إنسان من نوع آخر وبعد لحظات تَردُد جلسوا حوله على شكل نصف دائري مبتسمين بصمتٍ

هذه المشاهد وما يشبهها يكرّس الإحساس المرير بين إنجازات الحضارة وحقيقة صانعيها وهشاشتها أمام واقع الغريزة الفتّاك إولئك الذين مارسوا ويمارسوا في بقع مختلفة من العالم ما مارسته العائلة الأمازونية مع أولئك الأطفال وبطرق لا تقل فظاعة عنها

فمثلاً في خضم أحداث ما يُسمى الثورة الثقافية في الصين في ستينيات القرن الماضي 1966والتي راح ضحيتها مئات الآلاف وحسب ما ذكر مسؤول حزبي صيني سابق لإحدى وكالات الأنباء فقد وصلت الممارسات في مقاطعة غوانغشي لحد نزع وشَي الأكباد والقلوب وحتى الأعضاء التناسلية ومن ثم أكلها وفي حادثة أخرى تم ضرب أستاذ مدرسة حتى الموت من قبل فتيان الحرس الأحمر ليأكلوا بعدها أعضاءً من جسده

تلك الوحشية كانت بذريعة تطهير النظام الشيوعي الحاكم نفسه من الحرس القديم كل ذلك الجنون السريالي كان يحدث بين أناس يتبنون نفس الإيدلوجية التي كانت رائدة عبر تجارب سلطتها بالقرن العشرين باختراع أساليب الترويع والتنكيل بحق الشعوب التي حكمتها

ولدينا أيضاً ما جرى بالمنطقة في خضم الحرب الأهلية اللبنانية)1975 – 1990 (من ذبح واغتصاب وتنكيل وفسخ أجساد حيّة بين الميليشيات المتقاتلة

الأمثلة لا تنتهي على هذا المستوى المتعلق بغرائبية السلوك الدموي لدى البشر

فمثلا هل يُفهم بأي شكل من الأشكال أن يتم رمي براميل متفجرة على مدينة تعج بالمدنيين أو تقصفها بشكل واضح وممنهج بالأسلحة الكيماوية السامة كما فعل النظام السياسي الحاكم في سوريا

أو أثناء الحرب الأهلية في رواندا التي راح ضحيتها في شهر واحد فقط قرابة 800 ألف إنسان في صراع بين قبيلتي التوتسي والهوتو

أو حتى في أوروبا العصور الوسطى التي كانت نقطة فارقة في مشوار تعذيب الإنسان للإنسان عبر مصطلح بسيط إسمه :الهرطقة

إنّي لا أجد أي فارق جوهري بين ما يمكن تسميته حالة الرقي عند أي إنسان في العالم المتحضر الغربي مثلاً وبين أي شخص طرزاني شبه عاري ينتمي لإحدى قبائل الغابات القاطنة قرب مستنقعات الأمازون أو قبائل إفريقية النائية

والفارق المتحضّر الشكلي لا يعكس أي حقيقة على مستوى عمق الطبع الإنساني المتضارب

الأمر الحقيقي الصادم أنه في لحظة معينة ممكن أن يرتكب إنسان عادي طبيعي في موقع سياسي أو حزبي أو عشائري ما مجزرة مروعة وفق مصلحة معينة فيما يبرر ذلك بأنه لم يرى المجزرة بأم عينيه أو أن قراره كان يستهدف أناس معينين ولا يستهدف الأبرياء الذين ماتوا مجاناً مثلما يحدث في الحروب العصرية الأن

أو أنه لم يكن صاحب القرار في ما تَم فعلاً مثلما حدث مع جنرالات ألمانيا النازية أثناء المحاكمات عندما كانوا يبرؤون انفسهم بوصفهم كانوا فقط ينفذون أوامر من يفوقونهم رتبة أثناء عمليات التطهير ضد اليهود

وعليه من الممكن أن تقتل حصانك وتأكله عندما توشك على الموت جوعاً أو أن تبتُر قطعة من جسدك لم تعد قادراً على احتمال ألمها

في بادئ الأمر كنت أتألم لرؤية مشهد دموي عنيف نسبياً اليوم وبسبب ظرف القتال في سوريا بتُّ أرى الكثير من المشاهد الدموية في المحطات التفزيونية كبقايا العائلات تُنتشل من تحت الأنقاض دون أن يرف لي جفن صحيح أن الأمر مختلف عن الواقع مقارنة بحدوث الأمر أمام عينيك مباشرة ومع ذلك لا يبدو الحدث طبيعياً إذ أن التشوه يسكن الأعماق ومن ثَم يخرج دفعة واحدة مخلفاً أضراراً جسيمة أنا أصبح وحشياً عندما لا تعود رؤية المذابح تهزني من الأعماق مثلما حدث معي .

*

إذا أردت أن أنظر إلى نفسي بهذا الشأن سأجد بأني أتلذذ ببعض مشاهد العنف في الأفلام بعض المشاهد تُشعرك بالإمتلاء والرغبة والشهوانية وفي هذه الحالة أرى من الضروري أن أتعامل مع مشاعر الإستمتاع لدي في مشاهد العنف تلك على أنها تمثّل مكون أساسي من بنائي النفسي -من جوهر حقيقتي حتى لو لم أمارسها فعليّاً هي ليست وحسب الجانب الهامشي السري الصامت الذي لا يريد أن يظهر للعلن

ثم أتسائل ماذا لو لم يكن ثمة فسحة لتفريغ الشحنة العدائية سيكون من الجائز عندئذ أن يتحول المرء في هذه الحالة إلى مجرم مزمن وغامض...

مثل كافة الأشياء المتعلقة بنزعات الإنسان ثمة خيط رفيع يفصل الطبيعي عن الوحشي وفي عديد الأحيان يكون الطبيعي هو الوحشي والوحشي هو الطبيعي والهدف العملي للحضارة الإنسانية في كل الأزمان هي ألا تسمح للظروف المختلفة الكثيرة الاحتمالات أن تدفع التصرف الغريزي الصرف يطفو على السطح وبالتالي تتبدل حالة المرء من الطبيعي إلى الوحشي الذي يَدرج بكونه طبيعيا للأشخاص المحيطين به في أوقات ظرفية معينة كالحروب الأهلية التي هي من أبشع الحروب

عندما يحاول الجسد مقاومة حالة فنائه لن يكون للوعي أي معنى إذ أن الإنسان سيقوم بذلك بدافع غريزي وجودي وبدون أي تردد للحفاظ على وجوده

ورغم ذلك من غير المجدي إلقاء اللوم الدائم على سلوك إنساني مرحلي إذ لن يكون ذلك قراره على الدوام فلا أحد يرغب بالفناء الجسدي على تلك الشاكلة

وإنما يوجد حضارة تختزن في بئرها النائي نزعة الفناء البطيء السادي المازوخي إنها تشبه إلى حدٍ لو تذكرون عندما كنا صغاراً لحظة الفرجة على الشاة وهي تُذبح .

الجمال الهدف :

عندما أُسأَل عن هدفي في الحياة لا أجيب بل أصمت إذ لا يتبادر إلى ذهني أي إجابة مباشرة

!! ماذا يعني ما هو هدفك في الحياة أو ما هو طموحك مثلاً

هل الهدف أن أتخصص في الدراسة الجامعية أو أن أصبح طبيباً أو مهندساً أو كاتباً مشهور أو شاعراً مرموقاً أو أن يكون لدي عائلة لطيفة مُحبة

.. حسنا هذه أشياء مهمة

اليوم أعتقد انه ليس مهما أن يكون ثمة هدف بالحياة لكن إن كنت سأصر على تسمية الهدف

هدفي الوحيد الواضح في الحياة هو الحصول على أكبر قدر من لحظات الشغف التي تساعدني على القيام بشيء أحبه و بلحظة أهفو إليها أو برحلةٍ أقوم بها لهذا هدفي الآن إن كنت سأسميه هدف هو زيارة روما في إيطاليا

لا يوجد معنى لأي هدف أو طموح إن لم تقم بالأشياء التي تحبها

بالنسبة لي الغرض الحقيقي من الحياة هو الحلم الذي لا يتوقف والذي يغير شيء في كينونة الشخص في حد ذاته

هو القدرة على إنجاز الفكرة ورؤية الأشياء المختلفة البعيدة

وهو الذي من الصعب الوصول إليه لكن من الرائع السعي خلفه

أنا أرى أن غاية الحياة يجب أن تكون أسيرة لحالة جمالية تجعل من تلك الغاية عينها قيمة لاحقة وطويلة الأمد

لا أقول بأني أنجح في الوصول لذلك لكني اتمنى الوصول إليه

ومع أن الحديث عن فكرة الهدف ضمن السياق الجمالي يبدو استعراضاً نظريّاً إلا أني أفضّل القول أن بإمكان أي إنسان رسم أهداف مادية أو أكاديمية ليصل إليها ولكن ليس بإمكان أي إنسان أن يغدو مشروعاً بحد ذاته أو وميضاً يلمع فجأة وبسرعة قبل أن يختفي وسط العيون المندهشة وهذا المشروع لا يتحقق بالعمل العادي وإنما بالشغف والفن

إن الذين كانوا عباقرة بعملٍ ما بفنٍ ما كانوا على الأرجح غير محظوظين بكل ما سبق

خاتمة :

كان من الممكن لو شاءت الظروف أن أكون لاعب كرة قدم محترف أو ربما صانع أفلام فأجواء الكرة سحرية مفعمة بالعاطفة والصِبا وعندما أتابع نقلات

الكرة السلسلة بين أقدام اللاعبين أشعر بتناغم حركة الجسد التي تبث في نفسك الحماسة والتشجيع

ثم أفكر بالدموع التي يذرفها المشجعون عند خسارة لاعبهم أو فريقهم

أفكر بالدموع التي يذرفها اللاعب بسبب الخسارة

هذه الدموع ليست كذباً إنها دموع حقيقية دموع رجال تبكي لأنهم خسروا مباراة في كرة القدم خسروا حُلماً وبطولة و دافعاً يمنحهم شعورٌ بالإمتلاء والثقة والسعادة لعدة أشهر إضافية و هذه ليست مشاعر سخيفة

كرة القدم في أفضل حالاتها تحمل الكثيرمن الحسابات النفسية وجمال القُدرة الجسدية وأنت تشعر بذلك في لحظة من عمر المباراة

وهي تحمل عشرات التفاصيل الذهنية على شكل تحدي بين العقلية والعقلية

لعبة التنس كذلك إذ ثمة لقاءات تمثّل مواجهات ملحمية بين الذهن والذهن بين الوثبة والوثبة و بين التركيز والتركيز

أنت تشجع أحد ما لسبب تجهله لكنه يحاكي شيئاً يدور في عمقك

شيءٌ حلوٌ ومغري

الذي أشجعه يحقق حلماً نيابة عني يحقق إرادة متمثلة

هو القوة التي أرغب بها والتي حاجزاً صعباً منعني من تحقيقها وجعلها بعيداً عني بينما تكون قريبة وأيسر من الذي أشجعه

وحدة الإهتمام بالأشياء التي يتبناها الجسد عبر الرياضة لدى الناس شيءٌ رائع كلما عبّر الجسد عن نفسه أكثر كلما كان الفكر أكثر قوة وسطوة

ثم أفكر في الملاكمة بذلك التصادم الجسدي الممتلى عنفاً وطاقة إن رغبة تحطيم الخصم والفوز ليست كل الحكاية أنا أفهم الملاكمة بأنها حركة نفسية تتعامل مع الشعور العدواني في لحظته المناسبة فالنزعة العدوانية موجودة في داخلنا جميعاً والملاكمة المحترفة تتعاطى جيدا مع التفريغ العنفي المنظّم فالملاكم لا يعتدي على رجل يسير مسالماً في الشارع ولا على شاب جالسٍ يقرأ

كتاب في حديقة إنما يواجه خصمٌ على إستعداد هو الأخر أن يجهز على خصمه ويشوه وجهه كي يفوز ويحرز اللقب إنه حلم بالنسبة لكليهما

هي مواجهة بين وحشين متشابهين يعلمان تماما لماذا يتقاتلان في تلك اللحظة بالذات

كثير من الأشخاص يكرهون الملاكمة بسبب العنف وهم أنفسهم يتمنون أن يلكموا أشخاصٌ لا يروقون لهم وبوحشية أكبر إن شئتم

سيكون من الرائع أن يكون ثمة ملاكمين لديهم من الفهم لذواتهم ما يجعلهم يسمعون الموسيقى الهادئة ويهتمون بعلم النفس ويقرأون الفكر...

انتهى

معتز ...

ملحق مقالة سينمائية للكاتب نُشرت بجريدة العرب اللندنية :

جدلية الشك والإيمان في فيلم ضوء وشتاء لـ)إنغمار بيرغمان(:

يتناول فيلم "ضوء شتاء "للمخرج السينمائي السويدي إنغمار برغمان من خلال الكاهن توماس حالة سأم ممزوجة بحالة برود رقيقة ومستعصية، والكاهن توماس هو إحدى شخصيات الفيلم الرئيسية، يعيش حالة شك وشعور باللاجدوى تجاه ما يؤمن به وما يُخلص له، فبعد وفاة زوجته منذ أربع سنوات، استنفد طاقته عن مغزى رحيلها ربما من خلال عزائه بأنه سيلتقي بها في عالم مختلف يؤمّنه له إيمانه واعتقاده الهشّ ،ها هو يُخرج كل ما في سريرته في حديثه للرجل البائس يوناس الذي فقد بدوره ثقته بأيّ معنى للحياة وبأيّ قدرة ناجية تشفي إحساسه بالسأم والخيبة، فقرر الانتحار بعد أن عَلم أن الصين -البلد

الذي سيسافر إليه- ستصنع قنبلة ذرية، وهذا يتنافى مع آماله تجاه البلد الذي سيرحل إليه

مع انتحار يوناس تظهر الهوة العميقة بين الفعل الحقيقي من جهة والتنظير اللاهوتي من جهة أخرى، فبينما يتكلم الكاهن مع يوناس يبدو هذا الأخير غير مبال بما يسمع، ويسير نحو النهاية غير آبه باختلاجات الكاهن

مشهد لقاء توماس ويوناس يدفع بالمونولوج إلى ذروته، فالكاهن يعترف الآن وبشكل غير مسبوق بأنه عاجز تماما عن التقدّم ويبدو أيضا أنه عاجز عن تقديم أدنى فائدة للبائسين، فهو من وجهة نظره عالة على الحياة الكنسية التي ينتمي إليها

ورغم أنه لا يخشى الموت، وفي ذات الوقت غير متعلق بالحياة، إلاّ أنه ثابت مكانه لا يقوى على التحرك، بعد ذلك وفي قمة المونولوج يبدأ في انتقاد علاقته مع ربه وبأنه لا يصلح لأن يكون رجل دين، إلى أن يكتشف في النهاية أن بداخله إلها آخر غير الذي آمن به وجعله ينظر لذاته بأنه رجل دين صلف وفاسد.

توماس متهالك أكثر من أي وقت مضى يريد أن يكون شجاعا وحقيقيا ولو للحظة، يُخرج تساؤلاته حول الله والحياة والموت أمام العالم أجمع، لكن تساؤلات الكاهن وكوامنه لن تُفلح في تغيير قدره، إذ سيظل الكاهن توماس الذي يتلو الصلوات على الحاضرين كما يراه الآخرون بهيبة ووقار

من الوهلة الأولى تبدو مارتا المرأة العانس، كإحدى النساء اللواتي حصل وأن عشقن رجلا حدّ العبادة، رجلا أسيرا لصرامة أفكاره ولسلوكه الكَنسي المنضبط، وهنا تكمن المفارقة فتوماس ليس الرجل الذي تعشقه النساء بأي حال وسط عاصفة الشك التي تجتاحه، بينما مارتا تنهشها الحاجة والرغبة الجارحة للعطف

مارتا متصالحة مع أفكارها ومع نوعية إلحادها مع أنها كانت مؤمنة ذات يوم، حيث قالت له مرة "توقف يا توماس لا وجود لله"، وعلى الرغم من ترددها على الكنيسة من أجل توماس، لكن شعورا بالمهانة والذل يسببه لها توماس ولا تستطيع أخذه على محمل الجد سوى أن تربط يديها بقطعة قماش ناعتة نفسها بالجبانة

هي الأخرى تعاني من العجز، عجزها عن مجابهة توماس واحتقاره لأنوثتها بالرغم من إدراكها العميق لذاتيتها، إذ كلما سحق أنوثتها كلما تعلقت به أكثر وهي تبدو مثل توماس لا تستطيع وضع حدّ لعذاباتها، بالمحصلة مارتا تحب شيئا ما في الحياة ما يجعلها رغم إلحادها أكثر قربا للإيمان من الكاهن توماس.

مع تركيبة مارتا النفسية وخضوعها المستميت والغريب لتوماس تتبدى لنا مقدرة برغمان الفذّة في تسخير السيناريو وجعله يتماهى مع الإمكانيات الكبيرة لممثلين "جوّانيين "برعوا أيّما براعة في تجسيد الشخصيات الرئيسية، ومقدرته كذلك على الولوج إلى عالم النساء السري، وفي هذا الخصوص يظل فيلم صرخات وهمسات "1972 رائدا على هذا المستوى".

ليس من الغريب أن يكون الكثير من أعمال برغمان المهمة، أبطالها من النساء أو شركاء رئيسيين، "ربيع عذراء) "1960(،"بيرسونا) "1966(،"عاطفة آنّا " سوناتا الخريف) "1978(، فعمق التداعيات النفسية للمرأة كما تشير "،(1969) ،أفلام برغمان تبدو أشدّ هلعا مما لدى الرجل

فعليا ومثل كل المخرجين الكلاسيكيين الكبار مثل فيسكونتي وفلليني وكوروساوا، لا يظهر في أفلام برغمان أن هناك ممثلين ثانويين، فطاقم العمل ،يذوب كله في إطار كلي لخدمة الفيلم

ويمكننا هنا استحضار حركات تلقائية من عازف بيانو الكنيسة على الرغم من حضوره القليل، تنم عن تذمره من عمله اليومي كعازف للبيانو في الكنيسة وطريقة نصيحته لمارتا بأن الكاهن توماس لا ينفع لها

وثمة مشهد أكثر عمقا وصراحة حول الحديث الذي دار بين لادنبيرغ أحد رواد الكنيسة وتوماس في ما يخص الرؤية الشكلية لآلام المسيح الجسدية حسب التصوّر الديني مقارنة بالمعنى الرمزي لمعاناته، وما جاء على لسان لادنبيرغ "في نظري المتواضع عانيت جسديا أكثر من السيد المسيح"

ليكمل المشهد سلسلة من التساؤلات الفلسفية الكبرى التي رافقت بدايات الفيلم حتى نهايته، وليختمها بعد ذلك لادنبيرغ مختصرا رؤيته بأن عذاب الإنسان الأكبر يكمن في إدراكه أنه وحيد مع فكرته لا أحد يسانده، مستشهدا بعبارة المسيح عند صلبه "لماذا تخليت عني يا إلهي"، مفسرا حسب رأيه حالة

الشك التي راودت المسيح عند صلبه وحيدا دون أن يتجرأ أحد على مساعدته،
.ليردد بعدها توماس عبارته المتقطعة طوال الفيلم "صمت الإله

****